

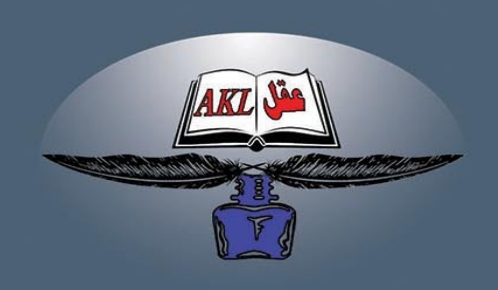
د. عصـام الشـرتح

مظفر النواب

مظفر النواب
مظفر النواب
مظفر النواب

شعرية النفي والاغتراب





مظفر النواب
شعرية النفي والاغتراب

عصام الشرتح

- الناشر: دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.
- سنة الطباعة: ٢٠١٨.



مقدمة

إن التجربة الشعرية المتميزة التي تفتح باب التأمل على مصراعيه وتكسب الرؤية، هي التجربة الفاعلة في الإثارة والتحفيز والتغيير؛ وتعد تجربة الشاعر مظفَّر النوَّاب من التجارب الشعرية المهمة في إيقاظ الهمم واتقادها؛ وقد استطاع النوَّاب أن يسطِّر اسمه بماء من ذهب بوصفه واحداً من أبرز الشعراء العرب الثوريين أصحاب القضايا والمواقف الثورية تجاه قضايا أمتهم.

وفي كتابنا الموسوم بـ مظفَّر النوَّاب – شعرية النفي والاغتراب – حاولنا أن نتناول الجانب المهم في شخصية هذا الشاعر؛ وهو مرارة المعاناة والجراح التي عاناها مضطهداً في السجون؛ وعاناها مغترباً ومنتفياً عن أرض الوطن؛ فجاءت قصائده ذات نبرة حادة في التقريع والاحتجاج والسخط على الحكومات العربية، فاستخدم كلمات نابية غاية في الإباحية والسخط والتجاوز الأخلاقي دلالة على الغضب والانفعال وعمق المأساة إزاء الأحداث الدامية التي وقعت في الوطن العربي.

وقد وقع الكتاب في أربعة فصول تطبيقية؛ حاولنا في كل فصل من فصول هذه الدراسة تناول جانب مهم من جوانب أزمة هذا الشاعر الاغترابية، سواء أكان ذلك على المستوى الشخصي أم على مستوى الأحداث الدامية التي مرت في مراحل حياته الجريحة بالمرارة والنفي والاغتراب.

وفي النهاية: نرجو لهذا الكتاب أن يحقق ما نصبو إليه في تأسيس مثل هذه التجارب المهمة ليتلمس القارئ العربي المفاصل المهمة التي تميِّز شعراء الحداثة في وطننا العربي، ويستطيع أن يحكم على هذه التجارب بعمق وشمولية وإدراك حقيقي جوهري لتجاربهم الشعرية بمعزل عن التمجيد المصطنع، ليروا الشاعر من داخله، من جوهره الباطني، وشعوره الحقيقي المأزوم تجاه قضايانا المصيرية.

والله الموفق

الفصل الأول

جمالية اللغة وصداها النفسي
في شعر مظفَّر النوَّاب

١. جمالية التوصيفات المشهدية.
٢. جمالية الصور السردية الممطوطة.
٣. جمالية الانكسارات المشهدية وإيقاعها الحزين.
٤. إثارة الصورة العاطفية المأزومة.
٥. جدلية الأضداد ودينامية الصور التنافرية.
- نتائج واستدلالات.

جمالية اللغة وصداها النفسي في شعر مظفَّر النوَّاب

إن اللغة هي المادة الأولية التي يصوغ منها الشاعر رؤاه وتطلعاته وصوره الشعرية؛ وهي المطي الذي يصل من خلاله إلى جوهر الرؤيا ومركزها الفني؛ وكلما ابتعد الشاعر في لغته الشعرية فوق حيز التقليدي، والمباشر، والمألوف، كلما حققت لغته الشعرية دورها وفاعليتها في استقطاب جمهور القراء، وتعد الشعرية - عند النوّاب - ثورية، انفعالية؛ صاخبة، نظراً إلى طبيعة المرحلة المتوترة التي عاش فيها، وما عانى في ظلها من ظلم واضطهاد في بلده العراق؛ وقصائده - على عمومها - تضج بالنفس الثوري، الذي يعري فيها أشكال الظلم والاضطهاد والاستغلال كافة؛ برؤى واضحة وكلمات صارخة قوية، تؤكد عمق الجراح، ومرارة المعاناة؛ يقول علي جعفر العلاق:

لقد كانت حياة مظفَّر النوَّاب ليلاً طويلاً من المطاردات، والسجون، والمنافي. كانت جزءاً من تاريخ عاصف دائماً، لكن أكثر هذه الأجزاء إثارة هربه الأسطوري من السجن، الذي تحدث عن تفاصيله المثيرة أكثر من مرة: كان يحفر، هو ومجموعة من رفاقه، نفقاً يمتد من زنزانتهم الرطبة إلى مكان آخر لا يعلمون ما هو على وجه اليقين؛ شهور طويلة وهم ينهشون تلك الكتل الطينية المظلمة بالملاعق، وسكاكين المطبخ، وأصابعهم الدامية؛ لم يكن هناك إلا الظلام والدم والأظافر المقلوعة إلى أن وصلوا إلى القشرة الترابية الدافئة التي كانت تفصل بينهم وبين النهار الكبير. وما أن أزال مظفر الطبقة الأخيرة من الأرض حتى أبصر، وهو ينبثق من ذلك الليل المخيف، نهاراً ساطعاً وسماء عالية للمرة الأولى، وتزدهر الأسطورة ثانية؛ يبدأ مظفر النواب هروبه المرير الذي ينتهي به، بعد إطلاق سراحه، لم يطل به المقام في بغداد، دخل مظفَّر النوَّاب بعد ذلك، سلسلة من التحولات والمنافي، من شعر العامية إلى شعر الفصحى، من مقاومة الأنظمة إلى مقاومة الاحتلال، من بغداد إلى بيروت، ومن بيروت إلى طرابلس، ومن طرابلس إلى دمشق. وظل يكتب قصائده بلغة ممعنة في الرهافة والجرأة؛ وكان، وما يزال، ذلك الصوت الشعري الممتلئ بالقلق، والمنذور دائماً للحلم العصي عن التحقيق[1].

ومن تدقيقنا في لغة مظفَّر النوَّاب الشعرية وجدناها تتمفصل على مثيرات جمالية، نذكر منها ما يلي:

١. جمالية التوصيفات المشهدية.

ونقصد بـها: التوصيفات التي تصوّر رؤى ومشاهد طبيعية، تحفِّز الموقف الشعوري؛ وتثير الحدث والرؤى المكثفة داخل النسق الشعري.
وقد استطاع الشاعر مظفَّر النوَّاب أن يثير القارئ بصوره المشهدية؛ ذات الصخب الانفعالي، وإيقاعها التوصيفي المشهدي الحسي الدقيق، كما في قوله:

***حبيبتي...**
أشمُّ زنديكِ العروسين
وعقمَ الليلِ في فراشِنا
والهمسِ
أنا أرى باللمسِ ما عادَ غير اللمسِ
مدينةٌ يكذبُ فيها الناسُ على أنفسِهم
تقولُ في أسوأِ أوضاعِنا لها
لا بأس...
تموتُ فيها الشمس
حبيبتي: كتبتُ أحزاني على الجسورِ والنساء
كتبتُ عمركِ الصغيرَ في بنفسجِ الضباب
نامَ فيهِ الماء
خبأتُه من غزواتِ الليل
من لصوصِ الجنسِ والأعداء
كتبتُهُ بالتبغِ والنبيذِ والذهولِ والضياء
وحينما اشتَدَّ أوارُ القصفِ في مدينتي
تكاثرَ الصلاةُ والبغاء
مدينةٌ يكذبُ من فيها على شفاهِهم
ليسَ لها شفاء*[2].

تثيرنا هذه القصيدة بإيقاعها التصويري العاطفي المكثف، بصور ارتكاسية ثورية، تضج بالحيوية والعنف والإثارة، والعمق التأملي في الواقع المتردي الذي تعيشه مدينة الشاعر من حيازتها التامة على أشكال الفساد والضياع والارتكاس النفسي المأزوم، كما في قوله: *في مدينتي تكاثرَ الصلاةُ والبغاء، مدينةٌ يكذبُ من فيها على شفاهِهم، ليسَ لها شفاء*.
واللافت محاولة النواب الاستغراق في الصور الجزئية التوصيفية السردية، كما في قوله:

***مرَّةً أخرى على شباكِنا تبكي**
ولا شيءَ سوى الريح
وحبَّاتٌ من الثلجِ على القلبِ
وحزنٌ مثل أسواقِ العراق
مرةً أخرى أمدُّ القلبَ بالقربِ من النهرِ زقاق
مرَّةً أخرى أحني نصفَ أقدامِ الكوابيسِ بقلبي
وأضيءُ الشمعَ وحدي وأوافيهم على بعد
وما عُدنا رفاق

لم يعدْ يذكرني منذُ اختلفنا أحدٌ غيرُ الطريق
صارَ يكفي
فرحُ الأجراسِ يأتي من بعيد
وصهيلُ الفتياتِ الشقرِ يستنهضُ حجمَ الزمنِ المتعبِ
والريحُ من الرقعةِ تغتابُ شموعي
رقعةُ الشبَّاكِ كم تشبهُ جوعي
وأثينا كلها في الشارعِ الشتوي
ترخي شعرَها للنمشِ الفضي
وللأشرطةِ الزرقاءِ واللذة*[3].

تثيرنا هذه القصيدة بإيقاعها النفسي العاطفي المشحون بالقلق والحزن والفراق؛ محاولاً تصوير العراق بصور توصيفية حسية مشهدية، غاية في التكامل والانسجام والتفعيل الشعوري؛ كما في قوله: *وصهيلُ الفتياتِ الشقرِ يستنهضُ حجمَ الزمنِ المتعب، والريحُ من الرقعةِ تغتابُ شموعي، رقعةُ الشبَّاكِ كم تشبهُ جوعي*.

واللافت انكسار المشهد الشعري الذي يدل على نفي واغتراب إذ يقول:

***أي إلهي إن لي أمنيةً أن يسقطَ القمعُ بدارِ القلبِ**
والمنفى يعودون إلى أوطانهم
ثمَّ رجوعي لم يعدْ يذكِّرُني منذ اختلفنا غيرُ قلبي والطريقْ
صارَ يبكي: كلُّ شيءٍ طعمهُ طعمُ الفراق
أي إلهي.. إنَّ لي أمنيةً ثالثة
أن يرجعَ اللحنُ عراقياً
وإن كانَ حزينْ*[4].

تتمركز مداليل هذه القصيدة على الإحساس الشعوري المأزوم ، الذي يعكس حالة من الضجر والقلق والحزن والنفي والاغتراب؛ إذ يقول: *أي إلهي إن لي أمنيةً أن يسقطَ القمعُ بدارِ القلبِ، والمنفى يعودون إلى أوطانهم*. واللافت حرص الشاعر على تكثيف المشاعر الاغترابية الحزينة ذات الصدى الشعوري الارتكاسي المأزوم، والإحساس بالألم والوجاعة الداخلية، كما في قوله: *ثمَّ رجوعي لم يعدْ يذكِّرُني منذ اختلفنا غير قلبي والطريقْ، صارَ يبكي: كلُّ شيءٍ طعمهُ طعمُ الفراق*. وقد يراكم النواب مثيرات التوصيفات المشهدية في السياق الواحد، كحالة من الارتداد العاطفي والانكسار المشهدي؛ كما في قوله:

***لكلِّ نديمٍ يؤرَّق**
والقلبُ ملَّ نديمَهْ
كأني عشقٌ تقوسَ طعمَ الهزيمة
دخلت وراءَ السياج
فآهٍ من الذلِّ في نفخةِ الياسمين
زكيٌّ ويعرفُ كلَّ الدروبِ القديمة
وآهٍ من العمرِ بينَ الفنادقِ لا يستريح
أرحني قليلاً فإني بدهري جريحْ

لكم نضجَ العنبُ المتأخرُ
وانفرطتْ بعضُ حباتهِ
كنْ يداً أيها الحزنُ واقطفْ
ولا تكُ ريحْ
... وهذي رسومي
وهذا صباي الحزين: وتلك مراهقتي في شبابيكها ولهاث السفرجلِ
والشوق
قد كبُرَ الشوقُ عشرين عاماً: وصار اشتياقٌ
وما من دموعِ أداوي بها حضراتِ الهمومِ الجليلةْ*5.

يراكم الشاعر- في هذه القصيدة - التوصيفات السردية التي تمركز رؤيتها على بث المشاهد النفسية ذات الصدى الانكساري الحزين، برؤى تضج بالأسى والحزن والقتامة والسواد، كما في قوله: *وآهٍ من العمرِ بينَ الفنادقِ لا يستريح، أرحني قليلاً، فإني بدهري جريحْ*.

واللافت أن الشاعر يمركز رؤيته صوب الانكسارات المشهدية ذات الأسى الشعوري والأرق النفسي والاصطهاج الثوري؛ نفياً واستلاباً وإحساساً بالضياع، كما في قوله:

***يا وطني**
وكأنك في غربةْ
وكأنكَ تبحثُ في قلبي عن وطنٍ أنتَ ليؤويكَ
نحن الاثنانِ بلا وطنٍ يا وطني
كالبارحةِ اشتقتُ
ومرَّتْ في قلبي طرقاتُ مدينتنا تبكي
الدمعُ على أرصفتي يبكي
ومدينةُ أيامي، باعوها، في الساحةِ تبكي
يا امرأةَ الليلِ أنا رجلٌ، باعوا الليلَ مدينة أيامي
باعوني ككتابٍ يطبعُ ثانيةً، باعوا أحلامي
نامي يا امرأةَ الليلِ، فمنْ يبحثُ عن إنسانٍ؟
من يعرفُ جندياً في هذه الغربةْ
من ينصتُ للحزنِ المتأخرِ
من يعرفُ وجهي في السوقِ؟
نامي يوشكُ زيتُك يطفئني!
ما زيتُك من زيتْ؟
يا قمحا يأتي يغمرُ بالشمسِ شبابيكَ البيتْ
لو كنتُ عرفتُ بأنا نملكُ بيتاً خلفَ ظلامِ الدنيا
وصغاراً مثلكِ في البيتِ
لو كنتُ عرفتُ سلاحاً لماذا نتَعاطى؟
لو كنتُ عرفتُ لماذا نتعاطى الصمت
وحزن الإصرار...

لو كنتُ عرفتُ معسكرنا، وقبورَ الماءِ وصوتَ الليل
ورأيتُ وجوهَ رفاقي التسعةِ قبل النار
لو كنتُ عرفتُ لماذا يسكنُ جوعٌ في الأهوار
جوعٌ
وثلاثةُ أنهار
لو كنتُ عرفتُ الخجلَ المرَّ على جبهةِ ثوري ينهار
لعرفتُ الثورةَ
لعرفتُ لماذا الثورة
لعرفتُ أن الثائرَ لا ييئسُ من دفعِ الصفرِ بوجهِ الليلِ
لعرفتُ، لماذا أبحثُ عن مبغى
لعرفتُ لماذا أبحثُ في وجهِ الناسِ عن الإنسانِ
في وجهكِ أبحثُ عن إنسانٍ... عن إنسان*[6].

يعتمد الشاعر- في هذه القصيدة - مراكمة الانكسارات المشهدية التي تبين هول الحزن والاغتراب والتمزق الداخلي الذي يعيشه؛ فالشعر يبحث عن وطن يضمه إذ يرى حتى وطنه يعيش حالة من الأسى والحزن والاغتراب؛ ضائع مثلما هو ضائع؛ ينشد الخلاص، يبحث عن إنسان فلا يجد هذا الإنسان، يرى وجوه الأبطال قد دنِّست بالمرارة، والخجل، والمر واليأس، وعكرها الظلم والمرارة وخيبات الهزائم والانكسارات المتتالية؛ إذ يقول: *يا وطني، وكأنك في غربةْ، وكأنكَ تبحثُ في قلبي عن وطنٍ أنتَ ليؤويكَ، نحن الاثنان بلا وطنٍ يا وطني*؛ ومن يدقق في مداليل الصور يلحظ انكسارها وتمزقها الداخلي؛ دلالة على هول الاغتراب والقلق واليأس من المقاومة، في ظل واقع ينهار؛ ويعشعش فيه اليأس والدمار؛ إذ يقول: *لو كنتُ عرفتُ الخجلَ المرَّ على جبهةِ ثوري ينهار، لعرفتُ الثورة، لعرفتُ لماذا الثورة، لعرفتُ أن الثائرَ لا ييئسُ من دفعِ الصفرِ بوجهِ الليلِ، لعرفتُ، لماذا أبحثُ عن مبغى، لعرفتُ لماذا أبحثُ في وجهِ الناسِ عن الإنسان، في وجهكِ أبحثُ عن إنسانٍ... عن إنسان*.

وقد يحاول الشاعر مراكمة التوصيفات المشهدية في السياقات التي تضج بالثورة والعزيمة والإصرار، كما في قوله:

***يا عريسَ البقاع تسيَّجْ**
فبعضُ الذينَ يحملونَ الزفافَ يريد العروس
وبعضُ الزغاريدِ يوجبُ أقصى الحذرِ
من زمانٍ يبرحُ عشقُ البنادق غرناقنا وغرانيقنا
ونسور العراق
وعُشنا على جمرةِ الصمتِ
والوحلِ... والبرد
من زرقةِ الشفتينِ كتبنا الأغاني الحزينة
كانَ البنفسجُ ينمو بأضلاعِنا آخرَ الليلِ
انتظروا الشمسَ

لم ندرِ من أينَ في بادئِ الأمرِ جاءَ الرصاص
تثقبُ ضلعي
وضلعَ رفيقي
ولما يكن جاوزَ الوردتينِ وشهرا
ومن يومِها وضلوعي مزاميرُ حزنٍ يا سيدي والسهر
وزرعتُ حقولاً من الأسبرين المرير بجسمي
كأني صداعٌ بهم ليسَ يُشفى
انتظرتُ كياناتهم تنتهي فأعاتبُ شيئاً يساوي عتابي
أعيدُ الدموعَ القديمةَ فوقَ الرفوفِ مع العلبِ الخزفيةِ*[7].

تتمفصل مداليل القصيدة على التنامي الشعوري والتوصيفات المشهدية؛ ذات العمق الدلالي في التحفيز الشعوري؛ إزاء ما يعانيه الشاعر من جراح وآلام ونيران المواجد لوطنه العراق؛ برؤى ثورية انكسارية تضج بالأسى، والحزن، والاغتراب والارتحال صوب المرارة، وعمق الجراح والضجر، إذ يقول: *ومن يومِها وضلوعي مزاميرُ حزنٍ يا سيدي والسهر، وزرعتُ حقولاً من الأسبرين المرير بجسمي، كأني صداعٌ بهم ليسَ يُشفى*.

وهكذا، تتنامى مشاعر القلق والحزن والارتكاس النفسي الشعوري إزاء ما يعانيه الشاعر من جراح الكآبة، واليأس، والحزن، ونيران المواجد والمحبة لبلاده العراق.

ومن يدقق في صوره كلها يلحظ ثورة عارمة في داخله صوب العراق، وصوره الحزينة المأساوية المؤلمة إزاء ما يعانيه من قلق وحزن واكتئاب؛ قائلاً:

***يا ربِّ**
احفظْ بلادي
يا ربِّ احفظْ بلادي وأطفالَها والأزقةَ
والأمهات
وعودَ أبي
واجتماعَ زقاقِ السلاحِ على خطةٍ للنضال
ربِّ لم يبقَ في العمر شيءٌ سوى ساعتينِ صباحاً على دجلة
والعراق معافى
نُزيلُ المنافي عن الروحِ
نغسلها ونوافيكَ غيرَ حزانى
وأنظفُ شيء بنا القلبُ والراحتانِ وأغنيةٌ للوصال*[8].

تتأسس مداليل هذه القصيدة على دفق الشعور العاطفي إزاء بلده العراق؛ طالباً من الله أن يحفظ هذا البلد، ويحمي أطفاله، وذكريات رفاقه الأبطال الذين سطروا ملاحم البطولة والصمود والعزة والإباء؛ متمنياً من الله أن يطهر هذه الأرض من دناسة الأعداء... وهكذا، اعتمدت قصائد مظفَّر النوَّاب في حركتها التصويرية الأنساق التوصيفية المشهدية الدقيقة، التي تزيد الصور اصطهاجاً عاطفياً، وإحساساً دقيقاً بالحدث، وطريقة التعبير الفني عن مثيراته ورؤاه الثورية العميقة؛ بلغة تميل إلى المجاذبة التصويرية لا المنافرة والاختلاف.

٢. جمالية الصور السردية الممطوطة.

ونقصد بـها: الجمل التوصيفية السردية ذات الصدى الانفعالي الشعوري، المكتظ بالرؤى والمداليل المترامية الأطراف على صعيد الكثافة الشعورية وعمق الرؤيا؛ مما يجعل الصور انفعالية في صداها النفسي، وبعدها المشهدي، المحمل بشتى أنواع الأسى والانفعال والصخب الدلالي.

ومن يطّلع على تجربة الشاعر مظفَّر النوَّاب يلحظ كثافة الصور السردية الممطوطة، ذات القلق والوجاعة الداخلية والتوصيفات السردية العاطفية المكتظة بالرؤى والمداليل المباغتة، كما في قوله:

***حبيبتي... بالأمسِ قد عبرتُ جسرَ اليأسِ والرياحْ**
لم يكُ في الطريقِ غير المخبرين والنباح
سألتهم إنْ وجدوا هويتي
ودفترَ الديون والمفتاح
فقلَّبوا شفاههُم
وألقوا القبضَ عليَّ
وأودعوني غرفةَ التوقيفِ
وانتظرتُ أن يجيء اللهُ في الصباح
لم يأتِ يا حبيبتي
وها أنا ضيفٌ على التعذيب
في زنزانةٍ أخرى بلا مصباح
مدينةٌ تلقي علي القبضَ يا حبيبتي
يصبحُ فيها أعجزُ الناسِ هو السلاح
أفرِجَ عني صدفةً بالأمس
وحينما خرجتُ من جعبتِهم
كنتُ أرى باللمس
وربما قد ماتَ في الزنزانةِ الأخرى
الذي دقَّ على جداري
لم أكن هنا
أسمعُ عبرَ الليلِ غيرَ الهمس
وقد تناهى الهمس
وكانتِ الحاناتُ عبرَ الشارعِ الطويل
تكتظُّ بالحزنِ وضبط النفَس
مدينةٌ يبولُ من فيها على أنفسِهم أنظفُ منها اليأسْ
وها أنا مشرَّدٌ
أقرأُ وجهَ الناس والباصاتِ والأفلام في الطريق
أشمُّ كلَّ امرأة تبحرُ في الطريق
أقرأُ إعلاناً عن السلمِ
وفيهِ أقرأُ التلقينَ والتصفيق

أبحثُ عن كتابِ حزن...
أو صديقْ
يا عالماً بلا صديقْ
يا عالماً يختنقُ الإنسانُ فيه في الزفيرِ مرَّة
ومرَّتينِ في الشهيقْ
مدينةٌ يُمنَعُ فيها الشعر
أو يُحتكرُ الكلامُ كالشعيرِ يا حبيبتي يقتلُها النقيق* 9.

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالقلق، والارتكاس النفسي، والوجاعة الداخلية؛ محاولاً عن طريق الصور السردية الممطوطة تكثيف الحالة الشعورية التي تتمظهر في ألوان من الصور الانفعالية الارتكاسية المكتظة بالقلق، والحزن والكبت والشعور بالاستلاب، والنفي والضياع، كما في قوله: *حبيبتي... بالأمسِ قد عبرتُ جسرَ اليأسِ والرياحْ، لم يكُ في الطريقِ غير المخبرين والنباح، سألتهم إن وجدوا هويتي، ودفتر الديون والمفتاح، فقلَّبوا شفاههم، وألقوا القبضَ عليَّ*.

إن الشعور بالاستلاب والظلم والانتهاك ظل ملازماً لرؤى الشاعر مظفَّر النوَّاب، لدرجة الإحساس بالغربة، والنفي والضياع في بلده؛ إذ يقول: *يا عالماً يختنقُ الإنسانُ فيه في الزفيرِ مرَّة، ومرَّتينِ في الشهيقْ، مدينةٌ يمُنعُ فيها الشعر، أو يُحتكرُ الكلامُ كالشعيرِ يا حبيبتي يقتلُها النقيق*.

إن هذه الصور الارتكاسية تدل على عمق المعاناة، وهول المكابدة وعمق الجراح والآلام، التي تعتصر ذات الشاعر بالحزن والغربة والنفي والضياع.

وهكذا، يؤسِّس الشاعر قصيدته على التمطيط السردي والانكسار المشهدي، الذي يعري هول الجراح والآلام النفسية من الصمت والضعف العربي، وعلى هذا النحو الارتكاسي المؤلم يكثف الشاعر المداليل الشعرية ذات القلق والاصطراع النفسي؛ مما يجعلها بغاية الانكسار والتشظي النفسي والاغتراب الارتكاسي المؤلم.

٣. جمالية الانكسارات المشهدية وإيقاعها الحزين.

ونقصد بها: الانكسارات التصويرية التي تحدث في حركة الصور؛ بانزياحات غير متوقعة على صعيد نسق الصور المتضافر؛ مما يجعل المشهد أكثر حدة وامتداداً من السابق؛ وكلما ازدادت حدة الصور مفاجأة وانكساراً كلما اتسعت دائرة إثارتها، واستقطابها للحدث الشعري ومداليل الرؤى المكثفة.

ولقد لجأ مظفَّر النوَّاب إلى إثارة القارئ بالصور الحادة المفاجئة التي تشحن الموقف الشعري، وتزيد فاعليته الشعرية؛ ومن يطلع على قصائده يلحظ غلبة شبه تامة للصور الانكسارية ذات التمفصلات التشكيلية المفاجئة؛ وإيحائها الشاعري الجميل؛ كما في قوله:

***ليست تسوية... أو لا تسوية**
بل منظور رؤوس الأموال
ومنظور الفقراء
أعرفُ حقاً من يركضُ من تاريخِ الغربةِ والجوعِ بعينيهِ

وأعرفُ أمراضَ التخمة
يمكنني أن أذكرَ بعضَ الأسماء
لن تصبحَ أرضُ فلسطين لأجل سماسرةٍ أرضين
وإن حمي الاستمناء
إيّاكم أبناءُ الجوعِ فتلكَ وكالةُ غوثٍ أخرى
أسلحةٌ فاسدةٌ أخرى
تقسيمٌ آخر
لا نخدعُ ثانيةً بالمحورِ
أو بالخلفاء
فلا تنسوا تزييتَ بنادقكم
أيلولُ الأسودُ ما زالَ هنا يتربصُ بالأنحاءْ*[10].

إن من يطلع - على الصور السابقة - يلحظ انكسارها المشهدي، وصدمها للقارئ بأسلوبها الانفعالي الثوري حيناً، وإيقاعها الترسيمي المشهدي الصاخب بالتمرد والإثارة والعمق التأملي الحزين بالغربة، والجوع، والفقر حيناً آخر؛ إذ يقول: *أعرفُ حقاً من يرفضُ من تاريخِ الغربةِ والجوعِ بعينيهِ*.

واللافت أن الانكسارات المشهدية غالباً ما تحلق في أفق المباغتة التصويرية والحس الشعوري الجمالي؛ كما في قوله: *فلا تنسوا تزييتَ بنادقكم، أيلولُ الأسودُ ما زالَ هنا يتربصُ بالأنحاءْ*.

ومن ذلك قوله في سلسلة الانكسارات المشهدية التي تصف مشهداً للسكر والندامى، إذ يقول:

***بلغتْ نشوتَها الخمرةُ في خديكِ**
نثَرَ الوردُ في كأسِ الندامى
فبسطت الراحَ كي آخذَ حظي
وبعينيَّ من السكرِ انكساراتُ الخزامى
قاربي تاهَ وأطبقتُ له جفني
اتبعته جيداً
ما عاشقٌ من لم يتُهْ فيها وهاما
كلُّ بحارٍ عتيقٍ يشركُ الدفّةَ بالسكرِ
ويرخي جفنَه لليلِ
نمْ يا ليلُ إنا لن نناما...
في شعرِكِ يا سيدتي أقدامي لم يعجبها هذا اللحنُ
والأنغامُ لم تأتِ كما الآنَ انسجاما
كم مغنٍ تاهَ في الخمرِ
أنا الخمرةُ أعطتني اهتماما
آهٍ... من رخصِ المغنين
أحترم صمتي
لم أعدْ أغنّي غير في أقذرِ حاناتِ الأسى
هيا بكأسٍ يا رفاقَ الحانةِ الأولى

خذوا قلبي
اعزفوا لحناً على خاطركم
والذي أقرب للباب
يسلِّمُلي على الصحوِ سلاما
لم أعدْ أمزِجُ خمريٍ غيرَ بالخمرِ
فمن دجلةَ أولاً
لم أجدْ ماءً وسكراً مثلهما في الذماما*[11].

هنا؛ لقد ساعد تواتر حروف القوافي وانسجامها، في إكساب الدفقة الشعرية طابعها الإيقاعي الصاخب الذي يعبِّر عن قلق المشهد، وانكساره، وتصدعه؛ إذ إن اختيار الشاعر للقافية الصاخبة ولحرف الميم ليكون روياً؛ قد جعل المشهد أكثر توتراً وقلقاً واصطهاجاً وانفعالاً في كسر رتابة الإيقاع؛ والتعبير عن الصخب الداخلي الذي يعتصر الذات؛ محاولاً التنفيس عن هذا الانفعال، والصخب الداخلي، بالانكسارات المشهدية المباغتة التي تمركزت في حروف القافية، كما في قوله: *بلغتْ نشوتَها الخمرةُ في خديكِ، نثرَ الوردُ في كأسِ الندامى، فبسطتُ الراحَ كي آخذَ حظي، وبعينيَّ من السكرِ انكساراتُ الخزامى، قاربي تاهَ، وأطبقتُ له جفني، اتبعته جيداً، ما عاشقٌ من لم يتُهْ فيها وهاما*.

إننا نلحظ - في هذه الدفقة - انسجاماً تقفوياً يساعد الحركة الإيقاعية على تعميق حيوية الصور وإيحاء المشهد عامة؛ لكن ما يكسر رتابة هذا الانسجام، الانكسارات المشهدية المفاجئة التي تأتي فاعلة في تعميق إيحاء المشهد رغم التشظي النفسي الذي يعتصر نفثاته الشعورية كما في الانكسار المشهدي التالي: *وبعينيَّ من السكرِ انكساراتُ الخزامى*؛ إذ إن الانكسار يطال الأشياء الصلبة؛ أما أن يطال ورد الخزامى، فهذا انحراف باعد بين المتقاربات؛ وأكسب المشهد حركة دلالية تنسجم والبعد النفسي لإيقاع المشهد العاطفي في رسم حالة السكر والندامى مترنحين على إيقاع الأنغام الهادئة وصداها الرخيم.

وقد يلجأ الشاعر مظفَّر النوَّاب إلى الانكسارات المشهدية في السياقات التي تضج بالثورة، والقلق ومضاضة الحزن؛ إذ يقول:

***وفي يقظتي والمنام يفتِّشني الحزنُ في كلِّ ليلٍ**
علامَ يفتِّش هذا الغرابُ الغبيُّ بهذا الحطام
وقيل: أذلُّ من الجوع
قلت أجوعُ يا سافلينَ
وأزرعُ في الشامِ طيبَ انتسابي
لقد سافرَ الحلمُ قاطرةً كلُّهم ما ودَّعوني
كأني مررتُ بألفِ حطام
على فجأةٍ كانتِ الريحُ مجهولةً
قِطعُ الحلمِ كانت مزابلَ رسميةً تقرعُ الزفتَ
وضعوا قيدَهم في يدي
ذبحوا هودجاً من قطا

علّموا فوقَ قلبي بأختامِ خيلٍ
وكلُّ الحدودِ التي رأتني
اشترتْ علكة
وتباهتْ بِخصيانِها ساعتين أمامي
لكأنَّ القيامةَ أهونُ من مركزٍ في الحدود
وشبرٌ من الأرضِ مصطنعٌ بينَ هذي البلادِ وبين الشآم
وفي أولِ الأمرِ علمني الحزنُ كيفَ أحدّقُ فيهم
وأزوي فمي الشبقي كما سمكِ الليل
لا شيءَ يجدي
لقد صارَ كلُّ صليبي
ولا شيءَ يرجى*[12].

يؤسّس الشاعر مداليل هذه القصيدة على الانكسارات المشهدية التي تعزّز البعد الإيحائي للصور الشعرية؛ مما يجعلها منسجمة وإيقاعها المأساوي الحزين، الذي ينسجم والبعد المشهدي الانكساري المؤلم، كما في قوله: *وفي أولِ الأمرِ علمني الحزنُ كيفَ أحدّقُ فيهم، وأزوي فمي الشبقي كما سمكِ الليل*؛ وهكذا، يؤسّس الشاعر دينامية قصائده على الانكسارات التصويرية، بإيحاءاتها التعروية الفاضحة التي تثير القارئ بصخبها الدلالي، وتجاوزها العرفي بالإباحية والانكسار المشهدي.

٤. إثارة الصورة العاطفية المأزومة.

ونقصد بها: الصورة العاطفية المكثفة بالقلق، والتوتر، والوجاعة الداخلية، والنبض الشعوري المتوتر؛ مما يجعل الصورة صاخبة في حركتها الدلالية ومسارها الفني.

وقد أسس الشاعر مظفَّر النوّاب دينامية قصائده على دينامية الصورة العاطفية المأزومة، ذات التوتر النفسي والإيحاء العاطفي المكثف، كما في قوله:

***في وجهِكِ أبحثُ عن إنسانٍ عن إنسانٍ**
أبحثُ في طرقاتِ مدينتكِم عن وجهٍ يعرفُني
أبكي في طرقاتِ مدينتكِم عن وجهٍ يعرفُ حزني
يعرفُ ماذا في وطني
أندبُ كالبومِ المجروحِ على جدرانِ الليل
والبارحةَ اشتقتُ
ومرَّتْ في قلبي كلُّ خرائبِها تبكي
يا مدنَ النارِ
مدينتُنا تبكي، المنقذُ يأتي كشموعٍ تحتَ الماء*[13].

تتأسس مداليل هذه القصيدة على كثافة الصور العاطفية المأزومة، ذات الإيقاع العاطفي المشحون بالقلق، والحزن، والتوتر؛ كما في قوله: *أبكي في طرقاتِ مدينتكِم عن وجهٍ يعرفُ حزني، يعرفُ ماذا في وطني، أندبُ كالبومِ المجروحِ على جدرانِ الليل*؛ واللافت أن تكريس الصور العاطفية

المأزومة تتبدى في إيقاعها الحزين، ومراكمتها مراكمة ازدواجية غاية في الحس، والشعور الانفعالي الحزين.

وقد يعتمد الشاعر مظفَّر النوَّاب دينامية الصور العاطفية المأزومة في تفعيل الموقف الشعوري والإيحاء النفسي للصور الشعرية، كما في قوله:

***سبحانكَ كلُّ الأشياءِ رضيتُ سوى الذل**
وأن يُوضعَ قلبي في قفصٍ في بيتِ السلطان
وقنعتُ بكونِ نصيبي في الدنيا كنصيبِ الطير؛
ولكنْ – سبحانك – حتى الطيرَ لها أوطان*[14].

يؤسِّس الشاعر الإيحاء العاطفي - في هذه القصيدة - على الكثافة التصويرية للمشهد الاغترابي الحزين؛ فالشاعر يشعر بالاغتراب والارتكاس النفسي؛ إذ ينظر من حوله فلا يجد له وطناً يؤويه من ليالي التشرد والغربة والضياع؛ مناجياً الذات الإلهية أن يكون حاله كحال الطير؛ لكن حتى الطيور لها أوطان تأوي إليها في لحظات التشرد والضياع؛ وقد جاءت الصور خطابية انفعالية دالة على عمق المناجاة بهول المأساة الاغترابية الداخلية التي يعانيها الشاعر، كما في قوله: *سبحانك – حتى الطيرَ لها أوطان*.

وقد يصل الشاعر مظفَّر النوَّاب في قصائده الثورية إلى قمة الاغتراب والكثافة الشعورية العالية، كما في قوله:

***أُحاورُ روحي**
وكلُّ حوارٍ مع الروح ماء
بكى طائرُ العمرِ في قفصي
مذْ رأى مخلبَ الموتِ
ينزلُ في صحبهِ
ويَكُفّ الغناء
ففي القلبِ مملكةٌ للدماملِ
والجسدُ الآنَ في غايةِ الاعتلال
خذيني.. لأقرأ روحَ العواصفِ
حينَ تعانقُ سخطَ الليالي
خذيني فإنَّ الحضارةَ تغرقُ بالانحلال
خذيني.. خذيني فما البحرُ في حاجةٍ للسؤال
خذيني.. فليسَ سوى تعبِ البحرِ يشفي
وينقذُ من فقماتِ المقاهي
كفى لغطاً عاهراً أيها الفقمات
كفى يا ضفادع هذا النقيق الدنيء
فأنتم سبات...
خذيني إلى البحرِ
يا أيُّهذي العروس
لقد مَلَّ قلبي ألاعيبَ أهلِ السياسة

والرأسُ أثقلَـه الخمرُ
والزمنُ الصعبُ.. قبلَ قليل
وكلُّ النوارسِ نامت
ولم يبقَ إلا السفينة مبهورةً الآنَ بالشمول*[15].

يعزِّز الشاعر الصدى الانفعالي الاغترابي في تبيان الحالة الشعورية التي تكتظ بها رؤاه الانكسارية؛ كما في قوله: *بكى طائرُ العمرِ في قفصي، مذ رأى مخلبَ الموتِ، ينزلُ في صحبهِ، ويَكُفّ الغناء*. واللافت أن الشاعر يكثف الصور العاطفية المأزومة بصداها الارتكاسي المؤلم، كما في قوله: *خذيني.. فليسَ سوى تعب البحر يشفي، وينقذُ من فقماتِ المقاهي، كفى لغطاً عاهراً أيها الفقمات، كفى يا ضفادع هذا النقيق الدنيء، فأنتم سبات*.

وهكذا؛ يؤسِّس الشاعر مظفَّر النوَّاب حركة قصائده على إيقاع الصور العاطفية المأزومة التي تضج بالثورة والانفعال والصخب الدلالي.

٥. جدلية الأضداد ومثيرات الصور التنافرية.

ونقصد بـها: الثنائيات اللغوية المتضادة التي تقوم على التنافر والانكسار والتصدع الدلالي؛ مما يدفع الحركة التعبيرية إلى التكامل، والتفاعل بين الحيزات التصويرية المتباعدة على المستويات التعبيرية كلها.

وقد وظف الشاعر مظفَّر النوَّاب إيقاع الأضداد في قصائده؛ للتعبير عن مكنونها التنافري الاصطراعي الثوري؛ وهذا ما أشار إليه الدكتور علي جعفر العلاق بقوله: *لا شك في أن قصائد مظفَّر النوَّاب بالفصحى ساعدت على انتشاره عربياً؛ وهي قصائد على قدر واضح من الجمال الذي يجمع بين الغضب والحنين؛ التقشف والشهوانية؛ التصوف والبذاءة. أي أن هناك، حشداً من المتضادات، أو المتنافرات التي تتصادم وتضطرم لتشكيل مناخه الشعري*[16].

وللتدليل على ذلك نأخذ قوله:

***كيسُ رملٍ بصمتِ المتاريس قلبي**
مفاصلُ عشقٍ مخلَّعةٌ في الخراب
تفتِّشُ عن أحد
أحدِّقُ.. أفديهِ
عن وصالٍ صغير
إني محدِّقٌ في هجرةِ ما فهمتُ
ومن يفهمُ الحبّ
البردُ تأخرَ جداً.. ولم يلبسْ الباب
دسَّ المكاتيبَ من فرجةِ الباب
غادرَ وهوَ يجيءُ
وجاءَ يغادر
من نسمةِ الصمتِ
من نبرةِ الصمتِ.. والدمع
أعرف خطَّ العراق

ومن مثلِ قلبي يعرفُ خطَّ العراق
وياقاتُكَ السمر يوم حصادٍ حزين
تتقاطرُ فيه القبابرُ فوقَ ثيابي*[17].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على إيقاع التضاد والانكسارات التصويرية المفاجئة ،التي تعزّز الصدام النفسي الاصطراعي بين الأنساق التصويرية، كما في قوله: *دسَّ المكاتيبَ من فرجةِ الباب، غادرَ وهوَ يجيءُ، وجاءَ يغادر*. إذ جاءت الحركة الضدية متفاعلة ضمن النسق التصويري، كما في قوله: *وجاءَ يغادر، من نسمةِ الصمتِ، من نبرةِ الصمتِ.. والدمع، أعرف خطَّ العراق*؛ وهكذا تتأسس الحركة الضدية في قصائده على الاصطراع والتنامي الشعوري المأزوم، المحمل بالأسى والجراح والمعاناة الداخلية.

وقد يراكم الشاعر المتضادات في السياق الواحد، كما في قوله:

***بالنفطِ هدمنا لبنان**
وبالنفطِ سنبني لبنان
يا ربِّ كفى خجلاً
يا ربّ كفى ثيرانا
يا ربِّ كفى
ها هو سفودي بالحقدِ أجمِّلُه
ها هيَ أقفاصُ صدورِ سبايا المسلخ تشتعلُ النيرانُ بها
ها نحنُ نمدُّ صراطكَ بينَ ضحايا تلِّ الزعترِ والدامور
ونحضِرُ كلَّ القردة
قردة...
أتحدَّى أن يرفعَ منكم أحدٌ عينيه
أمامَ حذاءِ فدائيٍّ يا قردة
النارُ هنا لا تمزحُ يا قردة
الشعبُ الحاقدُ جاع...
أنا أسمعُ أمعاءً تتلوى ألماً جوعاً غضباً
كلٌّ يحملُ سفودينِ اثنينْ
يا ربِّ كفى خجلاً
يا ربِّ كفى حكاماً مثقوبين*[18].

هنا، تأتي الأزواج المتضادة فاعلة في تعميق الجو النفسي الشعوري إزاء ما يعانيه الشاعر من أسى وحزن على الواقع العربي، محاولاً عن طريقة الثنائيات المتضادة كشف الاصطراعات الداخلية التي تعتصر كيانه؛ بإيقاع عاطفي تعروي ثوري حزين، كما في قوله: *بالنفطِ هدمنا لبنان، وبالنفطِ سنبني لبنان، يا ربِّ كفى خجلاً، يا ربّ كفى ثيرانا*. وهكذا، يؤسِّس مظفَّر النوَّاب الكثير من إيقاعات قصائده الثورية على إيقاع المتنافرات، أو المتضادات التي تزيد المشهد الشعري حركة دائبة.

- نتائج واستدلالات:

١. إن قصائد مظفَّر النوَّاب تعتمد الإيقاع العاطفي الثوري، إذ تكتظ بالمداليل الانفعالية الصاخبة ذات الصدى الدلالي والانكسـار المشهدي؛ دلالة على الاغتراب والقلق والحزن والوجاعة الداخلية.
٢. إن الكثير من المداليل المؤثرة في بنية قصائد مظفَّر النوَّاب تعتمد الاحتراق الثوري والمكاشفة المدلولية؛ الدالة على الانكسار النفسي، والحزن والقلق والكآبة واليأس؛ ولعل الذي دفع الشاعر إلى هذه الرؤى الإحساس بالنفي والاستلاب.
٣. تكتظ قصائد مظفَّر النوَّاب بمظاهر الأسى، والحزن، والتجاوز التعروي الفاضح في إيقاعها الثوري الانفعالي؛ مما يجعلها دائماً تضج بالثورة والانفعال والقلق والتوتر والاغتراب؛ لهذا، من يطّلع على قصائده التي قيلت في بيروت، ولبنان، وفلسطين؛ يلحظ إيقاعها الثوري الانفعالي الصاخب؛ والوجاعة التي تحملها في باطنها الشعوري المأزوم.

1 العلاق، علي جعفر، ٢٠٠٨ – قبيلة من الأنهار، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ص ١٥٠- ١٥١.
2 النواب، مظفر، ١٩٩٦، الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن، ط١، ص ١٣٣-١٣٤ .
3 المصدر نفسه، ص ١- ٢.
4 المصدر نفسه، ص ٢ - ٣.
5 المصدر نفسه، ص ٦٧ - ٦٨.
6 المصدر نفسه، ص ٣١٦ - ٣١٨.
7 المصدر نفسه، ص ٥٤ - ٥٥.
8 المصدر نفسه، ص ٥٧ - ٥٨.
9 المصدر نفسه، ص ١٣٥-١٣٧.
10 المصدر نفسه، ص ٥٩٦ - ٥٧١.
11 المصدر نفسه، ص ٥٧٢ - ٥٧٥.
12 المصدر نفسه، ص ٤١٧ - ٤١٩.
13 المصدر نفسه، ص ٣١٨ - ٣١٩.
14 المصدر نفسه، ص الغلاف.
15 المصدر نفسه، ص ٢٦٥ - ٢٧٢.
16 العلاق، علي جعفر، ٢٠٠٨– قبيلة من الأنهار، ص ١٥٢.
17 النواب، مظفر، ١٩٩٦– الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٤٢-١٤٣.
18 المصدر نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١.

الفصل الثاني

دلائليات التجربة الشعرية عند مظفَّر النوَّاب

١. مداليل الثورة وإرادة التغيير.
٢. مؤولة الأسى والحزن.
٣. مؤولة الوطن والبلاد.
٤. مؤولة النفي والاغتراب.
٥. مؤولة الجراح والآلام.
- نتائج واستدلالات.

دلائليات التجربة الشعرية عند مظفَّر النوَّاب

لا شك في أن التجربة الشعرية - عند الشاعر مظفَّر النوَّاب - تجربة متميزة في منحاها الفني وشكلها الأسلوبي ومغزاها الدلالي؛ ولا تقف نصوصه حدَّ الواقع الحسي المعاش؛ وإنما ترتقي إلى حيز المغامرة والإثارة بفضاءاتها الثورية والتأملية؛ وهي تعكس درجة من الوعي الثوري بالقضايا التي تعيشها أمتنا العربية؛ من فقر؛ وظلم؛ واستغلال؛ واضطهاد؛ وقد عكس مجموعة من الرؤى والمداليل الشعرية للواقع القمعي الذي تعيشه الشعوب العربية.

ومن تدقيقنا في منحى هذه التجربة ومسارها التأملي، وجدنا عدة رؤى تتمفصل عليها هذه التجربة، نذكر منها:

١. مداليل الثورة وإرادة التغيير.

تطغى على قصائد مظفَّر النوَّاب الطابع الثوري وإرادة التغيير، إذ تغص قصائده بالرؤى الثورية وصيحات الاحتجاج؛ محاولاً تعرية الواقع العربي بالنبرة الخطابية الانفعالية الضاجة بالعنف، والتجاوز، والانتهاك الفاضح بمداليل لغوية يصل فيها حدَّ الإباحية المفرطة، والتعرية الفاضحة؛ بألفاظ نابية في كثير من الأحيان؛ كما في قوله:

***اغتصبوا أمَّك أيضاً من كلماتِ الله على شفتيها**
من خمسينَ من السنواتِ دموعاً بالأرض بعينيها*[19].

وقد يعتمد الشاعر الأسلوب الثوري الصاخب الذي يضج بالثورة والانفعال وصيحات الاحتجاج؛ إذ يقول:

***ها أنا أعلنُ قلبي ضوءَ إسعافٍ حزينْ**
في جروحِ العمرِ والثوار... والبابونجُ الشاحبُ يبكي
في بقايا جثثِ الأطفالِ في أنقاضِ صيدا
عمرُها سيارةُ الإسعافِ لا تغفو
لا تنسى جروحَ الناس
لا تلزمني أنظمةُ السيرِ
ولا الشاراتِ
وإني ذاهبٌ للجرح.. للطلقةِ.. للعمق الفلسطيني
لا تلتزم الطلقةَ.. لا يلتزمُ الإسعاف إلا بالمهماتِ وخطِ السيرِ
وقد يرتبكُ العدادُ

قد تشتبكُ الحاوياتُ والأحداثُ.. والخندق
أستهدي بطعمِ الألم الثوري*[20].

واللافت هنا كثافة المداليل التي تتضمنها القصيدة في الدلالة على الواقع الثوري؛ بصور عاطفية مشحونة بعمق الإحساس، وصدق العاطفة ورهافة الشعور الوطني، إزاء ما يعانيه الشاعر من ضغوطات وأزمات نفسية، كما في قوله: *ها أنا أعلنُ قلبي ضوءَ إسعافٍ حزينْ، في جروحِ العمر والثوار... والبابونجُ الشاحبُ يبكي، في بقايا جثثِ الأطفالِ في أنقاضِ صيدا*.

وقد تأتي قصائده ثورية ذات صخب دلالي وانفعالي عارم؛ دلالة على الارتكاس النفسي، وزخم الغضب والانفعال، واتقاد نار الثورة في داخله؛ كما في قوله:

***أصبحَ ممنوعٌ أن تستشهدْ**
أو تدفعَ حبيبكَ عندَ حدودِ الجيرانِ وتستشهد
أيُّهما إسرائيل
الخبزُ عليهِ علامةُ إسرائيل
حباتُ الرزِّ عليها إسرائيل
المسجدُ والخمارةُ والصندوقُ القوميُّ لتحريرِ القدسِ بداخلهِ إسرائيل*[21].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على دينامية الصور الانفعالية ذات الصخب الدلالي الثوري، الذي يتبدى في مراكمة صيحات الاحتجاج والقلق والنبرات الحادة، دلالة على اتقاد نيران الثورة في داخله، على نحو ما تبدى في أشكال من الاحتجاج والتوتر والانفعال النفسي؛ كما في قوله: *الخبزُ عليهِ علامةُ إسرائيل، حباتُ الرزِّ عليها إسرائيل، المسجدُ والخمارةُ والصندوقُ القوميُّ لتحريرِ القدسِ بداخلهِ إسرائيل*.

٢. مؤولة الأسى والحزن.

تطغى مؤولة الأسى والحزن على قصائد مظفَّر النوَّاب؛ دلالة على المرحلة العصيبة التي مر بها من سجن ونفي واغتراب؛ ولعل تكرار هذه المؤولات في قصائده، فيها دلالة واضحة على معاناته في ظل واقع قمعي سلطوي، يؤذن بالظلم والكبت والاستغلال؛ وقد عكس هذه المداليل في قصائده بكثافة عظيمة، كما في قوله:

***ها أنا أعلنُ قلبي**
أعلنُ أن الجرحَ يمتدّ
ولا يلقى سوى المستنقعِ القطري
حدَّ العظمِ.. والحزن البَريدي
سئمتُ الحزنَ برقياً
سئمتُ القتلَ تكراراً
كفى مهزلة
إني أحنُّ الآن أن أُقتلَ في بغدادْ*[22].

هنا، يشعر الشاعر بعمق وفداحة الجراح، معلناً سأمه من الحزن والقتل والتأزم النفسي؛ مظهراً إقدامه على الموت شهيداً على أرض بغداد؛ ولعل دلالة الحزن تؤكد المرحلة المؤلمة التي مر بها الشاعر في رحلته الاغترابية القسرية عن العراق.

وقد يصور مظفَّر النوَّاب الواقع العربي المؤلم بصور تعروية فاضحة؛ كاشفاً من خلالها عن أساه وحزنه؛ قائلاً:

***تعالوا نتحاكم قدَّامَ الصحراءِ العربيةِ كي تحكمَ فينا**
أعترفُ الآنَ أمامَ الصحراءِ بأني مبتذلٌ
وبذيءٌ
وحزينْ
كهزيمتكُم
يا شرفاءَ مهزومين
ويا حكّاماً مهزومينْ
ويا جمهوراً مهزوماً*[23].

يعتمد الشاعر - في هذه القصيدة - على مؤولة الحزن في بث مشاعره الداخلية التي تصطهج بالثورة والانفعال على الواقع العربي المهزوم، إذ يقول: *أعترفُ الآنَ أمامَ الصحراءِ بأني مبتذلٌ، وبذيءٌ، وحزينْ، كهزيمتكُم. يا شرفاءَ مهزومين، ويا حكاماً مهزومين، ويا جمهوراً مهزوماً*؛ إن من يدقق في القصيدة يلحظ طابعها الانفعالي الارتكاسي الحزين من جهة؛ وطابعها الثوري الغاضب من جهة أخرى؛ وبالتالي محاولة الشاعر إظهار حزنه وقلقه، وأساه بكل انفعال وزخم ثوري انفعالي عارم على الواقع.

وقد يعتمد الشاعر مظفَّر النوَّاب الصور الارتكاسية الحزينة المؤلمة في تكثيف المشهد الدراماتيكي الشعوري وتعميق مداليل الأسى، والحزن، بقوله:

***الدرجُ الأرجوانيُّ الذي يفضي إلى بيتِ الرضى الليليّ**
أطفأتُ دموعي فوقَه منتشياً بالخشبِ العابقِ بالحزنِ
هذا جسدي.. إني.. دمي
هذي قناعاتي..
وهذا درجٌ أحملُه
أرقاهُ في الليل
أرى أو أمسحُ النجمةَ بسمِ اللهِ هذا وطني
علمني ألتزم النار..
لماذا كلُّ هذا الصمت؟
هذي الضجَّةُ الخرقاء
هذي الهامشيات... الصراعات.. الأكاذيب
لماذا يدخلُ القمعُ إلى القلبِ
وتستولي الرقاباتُ على صمتي
وأوراقي
وخطوي ومتاهاتي؟*[24].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على التوصيف المشهدي للحالة الشعورية المكثفة، التي تكتظ بمداليل الأسى والحزن، والضياع والكبت والقمع؛ وكأن الصمت قد خيم على الشفاه؛ فلم تعد تنطق أي

شيء؛ معبراً عن هذه الحالة بدقة متناهية؛ بقوله: *لماذا كلُّ هذا الصمت؟، هذي الضجَّةُ الخرقاء، هذي الهامشيات... الصراعات.. الأكاذيب، لماذا يدخلُ القمعُ إلى القلبِ، وتستولي الرقاباتُ على صمتي، وأوراقي، وخطوي، ومتاهاتي؟*. إن من يدقق في القصيدة يلحظ سيطرة مؤولة الكبت، والضياع، والحزن، والانكسار النفسي الشعوري على صوره كلها دلالة على حالة الأسى، والجراح، والمعاناة التي يعيشها في غربته عن ذاته حيناً، وعن الوطن حيناً آخر؛ أي أن الشاعر يعيش غربتين غربة عن الذات، وغربة عن الوطن؛ وقد تبدى لنا ذلك في ارتحال صوره - دوماً - إلى الكبت، والخوف، والضياع، والانكسار النفسي؛ الذي يمتاز بالقلق والحزن والوجاعة الداخلية.
كما وتتأسس رؤى الشاعر مظفَّر النوَّاب الارتكاسية على إيقاع القلق، والحزن والكآبة والوجاعة الداخلية؛ رداً على الجراح والآلام النفسية التي تعتصر كيانه في لحظات الغربة، والحزن، والضياع، كما في قوله:

***أعرفُ أن العصافيرَ في الزقاقِ المعدنية**
تبقى تمسحُ رِيشاتها لصباحٍ جميل
امسحْ ريشةَ حزني يا ربِّ*[25].

تنبني المؤولات هنا على إيقاع الحزن والوجاعة الداخلية في محاولة الشاعر التعبير عن دواخله الشعورية بكل صداها الانكساري القلق الحزين، متأملاً الفرج القريب، والعودة إلى الوطن، وبزوغ فجر جديد مشرق؛ يمسح عنه ضبابة الحزن والدموع والآلام. وهكذا، يؤسس مظفَّر النوَّاب رؤاه الاغترابية على القلق والوجاعة، والحزن والألم، مكرساً مظاهر الوجاعة الداخلية؛ بتكثيف المؤولات المكافئة لهذه المؤولة؛ كلفظة القهر.. والدمع.. والعذاب.. والأسى.. والجراح.. والضياع.. والنفي.. والاستلاب..

٣. مؤولة الوطن والبلاد.

تطغى مؤولة الوطن على قصائد مظفَّر النوَّاب؛ برؤى حزينة ارتكاسية تصور الوطن بكل مظاهر الضعف، والقتامة، والحداد؛ محاولاً تكثيف رؤاه الاغترابية الحزينة بكل صداها النفسي، وانكسارها المشهدي، وقلقها الارتكاسي المؤلم؛ إذ يقول:

***وطني علِّمني..**
علِّمني أن التاريخَ البشريَّ بدونِ الحبِّ عويلٌ ونكاحٌ في الصحراء
وطني هل أنتَ بلادُ الأعداء؟
وطني هل أنت بقيةُ *داحس والغبراء*؟
وطني أنقذني رائحةُ الجوعِ البشريِّ مخيفة
وطني أنقذني من مدنٍ سرقتْ فرَحي
أنقذني من مدنٍ يصبحُ فيها الناسُ
مداخنَ للخوفِ وللزبلِ مخيفة
أنقذني من مدنٍ ترقدُ في الماءِ الآسنْ
كالجاموسِ الوطني
وتجترُّ الجيفةْ
أنقذني كضريحِ نبيٍّ مسروق*[26].

هنا، يعتمد الشاعر الأسلوب الحواري في مناجاته للوطن؛ مناجاة فيها الكثير من الأسى والحزن على هذا الواقع المؤلم؛ متسائلاً لماذا تحولت هذه البلاد إلى مقبرة للقيم والأخلاق؛ والعزة، والشهامة، والكرامة؛ محاولاً تكثيف الرؤى الانكسارية التي تبين عمق الجراح، وفداحة الألم من جراء دناسة الواقع، واتضاعه وفساده وانحلاله؛ إذ يقول: أنقذني من مدن يصبحُ فيها الناسُ، مداخنَ للخوفِ وللزبلِ مخيفة، أنقذني من مدنٍ ترقدُ في الماءِ الآسنْ، كالجاموسِ الوطني، وتجترُّ الجيفةْ. إن هذه الصور الارتكاسية المؤلمة للوطن؛ تصور فساده وضعفه وهشاشته؛ محاولاً إيقاظ روح المقاومة وتبيان مواطن الفساد في هذا الوطن؛ قائلاً:

***يا وطني المعروض كنجمةِ صبحٍ في السوق**
في العلبِ الليليةِ يبكونَ عليك
ويستكملُ بعضُ الثوارِ رجولتَهم
ويهزّونَ على الطبلةِ والبوق
أولئك أعداؤُك يا وطني!
من باعَ فلسطينَ سوى أعدائِك أولئك يا وطني؟
أقسمتُ بأعناقِ أباريقِ الخمرِ
وما في الكأسِ من السمِّ
وهذا الثوري المتخم بالصدفِ البحريِّ ببيروتْ
تكرَّشَ حتى عادَ بلا رقبة
أقسمتُ بتاريخِ الجوعِ ويومِ السغبة
لن يبقى عربيٌّ واحد إن بقيتْ حالتُنا هذي الحال بين حكوماتِ الكسبة*[27].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على مؤولة الوطن، ومداليله الدالة على المهزلة والاتضاع والفساد؛ إذ تخلى العرب عن قضيتهم وقايضوا بها، محاولاً تعرية هذا الضعف، والتخاذل بمفردات نابية. وما يثير الانتباه في مؤولة الوطن هذه النظرة السوداوية البائسة إلى مداليله ورؤاه؛ إذ يأتي الوطن بدلالات سلبية؛ تغذي البعد السلبي لرؤاه ونظرته الاغترابية إلى الأشياء.

وهكذا، يؤسس الشاعر دينامية القصيدة على إيقاع الاغتراب والأسى والكآبة؛ التي تدمي فؤاده حزناً وأسى على الواقع السوداوي الحزين المؤلم للبلاد العربية. لهذا جاءت صورة الوطن بائسة حزينة إلى درجة الانكسار والتشظي النفسي المؤلم.

٤. مؤولة النفي والاغتراب.

ترتكز العديد من قصائد مظفَّر النوَّاب على مؤولات النفي والاغتراب؛ محاولاً تكريس الدوال المكافئة لهذه المؤولة في التعبير عن الوجاعة والاغتراب النفسي الداخلي العميق؛ من هذه المفردات: *الدماء، والحزن، والشقاء، والنفي، والغربة، والضياع، والبؤس، والفقر، والجوع، والتشرد، والقتامة، والحداد*. ولم يقتصر الأمر على ذلك، وإنما يحاول دائماً تكثيف مؤولات النفي والاغتراب في السياق الواحد؛ دليلاً على التوتر النفسي، والإحساس الشعوري المأزوم بالقضايا العربية وتشتتها وضياعها، وراء شرذمات الواقع اليومي الحياتي المعيش وروتينه الممل.

ومن يطلع على قصائده يلحظ هذه النبرة الاغترابية الحزينة التي تضج بالحسرة، والتأوه، والضجيج الشعوري المؤلم؛ نتيجة الإحساس بالتشرد، والحزن، والضياع؛ إذ يقول:

***دائرٌ قلبي مع الأيَّام**
والثوَّارِ
والعشاقِ
لا يعرفُ طعماً للرقاد
وحدودي.... كلُّ إنسانٍ يعاني غربةً
حتى أرى غربتَهُ عادتْ إلى غربتِها
واصطحبَ العمر إلى بلدتِهِ
يحملُ القلبَ دامياً من فرحٍ
أو عمرٍ..
أو صاحب*[28].

تتمركز الرؤى الدلالية - في هذه القصيدة - حول مركز بؤري واحد؛ وهو الشعور بالاغتراب والوجاعة الداخلية والنفي والضياع؛ وهذا ما تبدى في قوله: *وحدودي... كلُّ إنسانٍ يعاني غربةً، حتى أرى غربتهُ عادتْ إلى غربتِهِ*؛ إن هذا الشعور الاغترابي الحزين؛ دليل قتامة وتشرد، وضياع؛ محاولاً إظهار هذه المداليل بكثافة رؤيوية واضحة إلى حد بعيد، كما في قوله: *دائرٌ قلبي مع الأيَّام، والثوَّارِ، والعشاقِ، لا يعرفُ طعماً للرقاد*.

إن الإحساس بالقلق والتوتر والضياع، ظل مصاحباً لقصائد مظفَّر النوَّاب في مراحل حياته كلها؛ ولا عجب في ذلك فهو القائل:

***يا غرباءَ الناسِ**
بلادي كصناديقِ الشايِ مهَّربة
أبكيكِ بلادي
أبكيكِ بحجرِ الغرباء
وكل الحزنِ لدى الغرباءِ مذلَّة
إلامَ ستبقى يا وطني! ناقلةً للنفطِ
مدهنةً بسخامِ الأحزانِ
وأعلامِ الدولِ الكبرى
ونموتُ مذلَّة*[29].

ترتكز مداليل هذه القصيدة حول مؤولة الاغتراب؛ مكرساً جلّ الدوال صوب دائرة الغربة، والجراح والآلام، والمهانة والذل؛ إذ إن كل مفردة من تلك المفردات تعري الواقع المؤلم؛ وتشي بحالة من الوجاعة، والحزن والأنين على ما حاق في بلاده من ذل وانكسار؛ كما في قوله: *إلامَ ستبقى يا وطني! ناقلةً للنفطِ، مدهنةً بسخامِ الأحزانِ، وأعلامِ الدولِ الكبرى، ونموتُ مذلة*.

وقد يعتمد الشاعر مظفَّر النوَّاب إيقاع الصور العاطفية المأزومة بكل صداها الانكساري المؤلم؛ كما في قوله:

***إلامَ أنا وطنٌ في العزلة؟**

يا غرباءَ الناسِ أغصُّ
لأن الدمعَ يجرحُ أجفاني
في الحلمِ يطينُني الدمعُ
وتأتي الأفراحُ كسلسلةٍ من ذهبٍ من كنزك
يا ملكَ الأنهارِ بقلبِ بلادي
أبكيكِ بلادَ الذبحِ كحانوتٍ تُعرَضُ فيهِ ثيابُ الموتى
أمتدُّ إليكِ كجسرٍ من خشبِ الليلِ
وسيعبرُ تاريخ الغربةِ
كلُّ جسورِ الليلِ تسوسنُ سوى جسري
أحتكُّ بكلِّ الجدرانِ
كأنَّ الغربةَ يا قاتلتي جربٌ في جلدي
أتشهَّى كلَّ القططِ الوسخةِ في الغربةِ*30.

هنا، يأتي إيقاع الغربة والإحساس بالضياع واضحاً في هذه القصيدة؛ ناهيك عن استخدامه إيقاع الصور العاطفية المأزومة بدلالاتها الانكسارية الدالة على الألم والفقر والضياع، وكأن الغربة جرب في الروح والجلد تميت القلب وتدنِّس صفاءه؛ وهذا ما يعكسه قوله: *كأنَّ الغربةَ يا قاتلتي جربٌ في جلدي، أتشهَّى كلَّ القططِ الوسخةِ في الغربةِ*. إن هذه الرؤى الاغترابية تدل دلالة قاطعة على تأزم نفسي وقلق، ووجاعة داخلية عارمة تعتصر قلبه وتدمي فؤاده.

وقد يحاول الشاعر التمسك بالأشياء التي تذكره بالوطن والحنين إليه؛ رغبة منه في تبديد الوجاعة الاغترابية التي ترهق روحه أسى وحزناً واغتراباً؛ إذ يقول:

***قد أعشقُ ألفَ امرأةٍ في ذاتِ اللحظة**
لكني أعشقُ وجهَ امرأةٍ واحدة في تلكَ اللحظة
امرأة تحملُ خبزاً ودموعاً من بلدي
أعبرُ أسواقَ اللحمِ فأبكي
يا بلدي يا سوقَ اللحمِ لكلِّ الدولِ الكبرى بلدي
يا بلداً يتناهشُها الفرسُ، ويجلسُ فوقَ تنفُّسِها الوالي العثماني
يا بلدي.. يا بلدي.. تعالي نبكي الأمواتَ ونبكي الأحياءْ
فأنتِ حزينةٌ
والحزنُ ثقيلٌ في الليلِ
في تلكَ الساعةِ من شهواتِ الليل
ألقيتُ مفاتيحي في دجلةَ أيامَ الوجدْ
وما عادَ هنالكَ في الغربةِ مفتاحٌ يفتحُني
وها أنا ذا أتكلَّمُ من قفلي
من أقفلَ بالوجدْ
وضاعَ على أرصفةِ الشامِ سيفهمُني
من لم يتزوَّدْ حتى الآن
وليسَ يزاود في كلِّ مقاهي الثوريينَ سيفهمُني

من لم يتقاعدْ كي يتفرَّغَ للهو
سيفهمُ أيَّ طقوسٍ للسريَّة في لغتي
وسيعرفُ كلَّ الأرقام
وكلَّ الشهداءِ
وكلَّ الأسماءِ
وطني علِّمني أن أقرأَ كلَّ الأشياء
وطني علمني أن حروفَ التاريخِ مزوَّرةٌ حينَ تكونُ بدونِ دماء*[31].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على إيقاع الحنين والاغتراب؛ مكثفاً هذه الرؤى بصخب دلالي انفعالي؛ اغترابي حزين؛ ونفث شعوري عاطفي مشوب بالحنين إلى تراب الوطن وذكرياته الجميلة؛ وفتياته الحسان اللواتي اشتاق إلى مناجاتهن وممازحتهن بجانب النبع، إذ يقول: *قد أعشقُ ألفَ امرأةٍ في ذاتِ اللحظة، لكني أعشقُ وجهَ امرأةٍ واحدة في تلكَ اللحظة*؛ وقد تبدى أثر الاغتراب واضحاً حزناً وقتامة وانكساراً حين رأى بلاده كشاة مذبوحة يتكالب عليها الأعداء؛ وينهشون لحمها منذ القديم من زمن الفرس وحتى الآن؛ إذ يقول: *يا بلدي يا سوقَ اللحمِ لكلِّ الدولِ الكبرى بلدي، يا بلداً يتناهشُها الفرسُ ويجلسُ فوقَ تنفُّسِها الوالي العثماني، ... يا بلدي.. يا بلدي.. تعالي نبكي الأمواتَ ونبكي الأحياءْ*.

واللافت تكريس الشاعر للصور المأزومة ذات البعد النفسي المؤلم والاغتراب الارتكاسي الحزين؛ حين يرى كل وجوه الناس مزوّرة والتاريخ مزوَّر، والدول العربية مزوّرة بالوهن والضعف؛ إذ يقول: *وطني علِّمني أن أقرأَ كلَّ الأشياء، وطني علمني أن حروفَ التاريخِ مزوَّرة حينَ تكونُ بدونِ دماء*.

وهكذا؛ يكثّف الشاعر مظفَّر النوَّاب رؤاه الاغترابية بإيقاع توصيفي سردي واضح الدلالات وبارز المداليل، وكأن الشاعر قصد إلى ذلك قصداً لإلقاء كل ما في داخله من توهجات واصطراعات ونفثات ثورية انفعالية مكبوتة إلى القارئ؛ بنفس ملحمي ثوري؛ يتقصى المشهد المأزوم بدقة ومونتاجية شعورية مكثفة للصور العاطفية المأزومة، التي ترصد الواقع بعين كاشفة ناقدة أكثر من كونها راصدة للحدث وتناميه الشعوري المكثف ضمن النسق الشعري.

٥. مؤولة الجراح والآلام.

تكثر - في قصائد مظفَّر النوَّاب - مؤولات الجراح والآلام؛ ومكافآتها الدلالية مثل: الألم – والنزف – والدماء – والجروح – والأنين – والدموع – والمذابح – والصراخ؛ محاولاً التعبير عن جراحه وآلام اغترابه ونفيه وسجنه وضياعه؛ ولعل ما يؤكد ذلك تراكم المفردات الدالة على الجراح والآلام ومرارة الاغتراب؛ إذ يقول:

***جاء جنودُ سليمانَ**
أيُّها النملُ فادخلوا لمساكنكم
من هنا مرَّ وجهُ المذابحِ
فاشتعلتْ هُدنة
والصغير يتوقُ لغمضةِ عينٍ بلا صرخةٍ

كنت أصحو
وأحلمُ
تأتين مقبرةً بالقرنفلِ والحبّ
صـارَ القرنفـلُ من بعضِ أنيني
بالمـلاحمِ طرزتُ ثوبي
إن هذا القرنفلُ من صلبِ أنيني*[32].

تأتي مؤولة الجراح - في هذه القصيدة - بمداليل مأساوية تعكس حالة من الأسى والجراح التي تعتصر ذات الشاعر بالشوق والعاطفة المرهفة الحزينة حيناً، وجراح الاغتراب والحنين إلى الوطن حيناً آخر، محاولاً تكثيف مظاهر الأنين والوجاعة الداخلية في صوره العاطفية المأزومة، التي تغص بكل مظاهر الآلام والجراح والوجاعة والأنين؛ إذ يقول: *صـار القرنفـلُ من بعضِ أنيني، بالمـلاحمِ طرزتُ ثوبي، إن هذا القرنفلُ من صلبِ أنيني*.

وقد تأتي صوره الغزلية ذات الصدى العاطفي الشفيف؛ غاية في التأزم والانكسار النفسي، نظراً إلى تراكم مؤولة الجراح والآلام في مساقاتها الشعرية إلى درجة الاستحواذ المطلق، كما في قوله:

***انتظري.. انتظري..**
إن نـهراً سيأتي ونورقُ ثانيةً
إنما ترجعينَ إذا رجعَ الماء
واتحدَ الوطنُ العربيُّ هزيما
أحبك رغمَ الحرائقِ والنـهبِ
والقمعِ
والقهرِ
والسلطاتِ السخيفة
فاستعيديني أنا وطنٌ
ثم شيءٌ غريب
ثم ارتباكٌ وفوضى*[33].

تتأسس مداليل القصيدة على الإحساس بالقلق والأسى والجراح والتأزم النفسي من جراء كثافة الصور العاطفية المأزومة التي تبين هول الغربة، والقهر والقمع الذي يعيشه الشاعر؛ برؤى ارتكاسية غاية في التأزم والانكسار والبعد العاطفي المتوتر بالقلق والوجاعة الداخلية، كما في قوله: *أحبك رغمَ الحرائقِ والنهبِ، والقمعِ، والقهر، والسلطات السخيفة، فاستعيديني أنا وطنٌ، ثم شيءٌ غريب، ثم ارتباكٌ وفوضى*.

وهكذا؛ تتأسس مداليل الكثير من قصائد مظفَّر النوَّاب على حالة القلق والوجاعة والتأزم النفسي والاغتراب؛ مكثفاً صدى الجراح في جلّ قصائده، لتبدو وكأنها مركز البؤرة النصية في قصيدته.

- نتائج واستدلالات:

١. إن من أهم مداليل التجربة الشعرية – عند مظفَّر النوَّاب – ارتكازها على الغربة والاغتراب؛ إذ إن قصائده تحفل بشتى أنواع الرؤى الاغترابية من نفي واستلاب وصراع وتأزّم وانكسار وحزن، وتمرد وتعرية فاضحة بألفاظ نابية تخرج عن العرف السائد في كثير من الأحيان.

٢. إن ما يزيد من كثافة الرؤى الشعورية العاطفية المأزومة في قصائده تكريسها للصور الارتكاسية الحزينة التي تصور الواقع برؤى انكسارية غاية في التعرية والمكاشفة الفاضحة.

٣. تمتاز قصائد مظفَّر النوَّاب بإيقاعاتها الانفعالية الصاخبة التي تضج بالثورة والتمرد والعنف والتقريع؛ وكأن الشعور الداخلي الاغترابي المأزوم يقود الحركة النصية ويوجه مساراتها الدلالية في أغلب قصائده؛ كما نلحظ فيها نزوعاً إلى تكريس الصور الدالة على مآسي الوطن بكل مظاهر اتضاعه وانحلاله ودماره وفساده.

---

19 النواب، مظفر، ١٩٩٦ـ الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن، ط١، ص ٢٣٠-٢٣١ .
20 المصدر نفسه، ص ٢٠٧ - ٢٠٩.
21 المصدر نفسه، ص ٢٣٢ - ٢٣٤.
22 المصدر نفسه، ص ٢١٠.
23 المصدر نفسه، ص ٤٨٠ - ٤٨١.
24 المصدر نفسه، ص ٢٠١-٢٠٣.
25 المصدر نفسه، ص ٣٣٦-٣٣٧.
26 المصدر نفسه، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.
27 المصدر نفسه، ص ٤٧٧ - ٤٧٩.
28 المصدر نفسه، ص ٢١١ - ٢١٢.
29 المصدر نفسه، ص ٤٧١.
30 المصدر نفسه، ص ٤٧٢.
31 المصدر نفسه، ص ٤٧٣ - ٤٧٦.
32 المصدر نفسه، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
33 المصدر نفسه، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

الفصل الثالث

شعرنة المعاناة والوجاعة الداخلية عند مظفَّر النوَّاب

١. المعاناة بالتعذيب والعنف والاستلاب.
٢. المعاناة بالسجن والكبت.
٣. المعاناة بالغربة والحنين إلى الوطن.
٤. المعاناة بالحزن والوجاعة الداخلية.
٥. المعاناة بتصوير الجرائم والقتل وإراقة الدماء.
- نتائج واستدلالات.

شعرنة المعاناة والوجاعة الداخلية عند مظفَّر النوَّاب

لا شك في أن التجربة الشعرية الحقيقية لابد وأن تمد جسورها على معاناة حقيقة معاشة في واقعها المأزوم؛ على نحو دقيق تحاول من خلاله ارتياد هذا الواقع بعين ناقدة؛ تتحسس مواطن فساده واتضاعه؛ وتعد المعاناة الحقيقية المعيشة الأرضية الصلبة التي ترتكز عليها روحانية الشعر ومحفزات الكتابة الشعرية؛ وإننا لا نغالي إذا قلنا: لا تجربة شعرية إبداعية حقيقية على الإطلاق بمعزل عن أرضية المعاناة وجذرها التحفيزي، المثير الذي يثير المواقف ويحفِّز الرؤى ويفعِّل الأحداث؛ وكم من التجارب الشعرية قد خمد بريقها واضمحلت رؤيتها الشعرية بغياب الحافز الإبداعي، ألا وهو المعاناة؛ وتعد تجربة الشاعر مظفَّر النوَّاب من التجارب الشعرية الغنية التي تتراكم بالمحفزات والمواقف الشعورية المأزومة؛ المكتظة بمداليل الغربة والحزن والوجاعة الداخلية؛ لهذا؛ فحقل المعاناة والتأزم الداخلي - في تجربة النواب - حقل ثري خصب بالمواقف والأحداث والرؤى الاصطراعية الدامية في مسيرة حياته الحافلة بالأزمات والارتكاسات والنوائب الكثيرة ومن ضمنها سجنه المظلم في بغداد.

ومن تدقيقنا في المسار الدلالي لمؤولة المعاناة والوجاعة الداخلية – في قصائد مظفَّر النوَّاب - وجدنا عدة مفاصل أو نقط جوهرية ترتكز عليها هذه التجربة؛ نذكر منها ما يلي:

١. المعاناة بالتعذيب والعنف والاستلاب.

ترتكز قصائد مظفَّر النوَّاب - على المستوى الدلالي - على مؤولات ارتكاسية دالة على التعذيب والعنف والظلم والانتهاك؛ إذ تكتظ معظم قصائده بمداليل العنف والقلق ومظاهر التعذيب والألم، كما في قوله:

***ابتسمَ الجلادُ**
كأنَّ عناكبَ قد هربتْ
أمسكني من كتِفي وقال: على هذا الكرسيِّ خصينا بضعَ رفاق
فاعترفْ الآنَ
على هذا الكرسيِّ
اعترفْ الآنَ
اعترفْ الآنَ
اعترفْ
اعترفْ الآنَ

عرقتُ وأحسستُ بأوجاعٍ في كل مكانٍ من جسدي
اعترفَ الآن
وأحسستُ بأوجاعٍ في الحائط
أوجاعٍ في الغَاباتِ
وفي الأنـهارِ
وفي الإنسانِ الأوَّل
اللهمَّ أنقذ مطلقك الكامن في الإنسان
توجهتُ إلى المطلقِ في ثقةٍ
كانَ أبو ذرٍّ خلفَ زجاج الشباكِ المقفلِ يزرعُ فيَّ شجاعتَهُ
فرفضتُ... رفضتُ... رفضتُ... رفضتُ
وكانت أمي واقفةً قدامَ الشعبِ بصمتٍ.. فرفضتُ
اعترفْ الآنَ
اعترفْ الآنَ
رفضتُ وأطبقتُ فمي
فالشعبُ أمانةٌ في عنقِ الثوريّ
رفضتُ
تقلَّص وجهُ الجلادينَ
وقالوا في صوتٍ أجوفَ: نتركَكَ الليلة
راجعْ نفسَك
أدركتُ اللعبة
في اليومِ التاسعِ كفُّوا عن تعذيبي
نزعُوا القيد
فجاءَ اللحمُ مع القيدِ*[34].

يحاول الشاعر- في هذه القصيدة - إظهار معاناته من خلال التعذيب الذي لاقاه؛ إذ صور لنا المشهد تصويراً حسياً شعورياً؛ وكأنه يحدث أمامنا رؤيا العين بعدسة مونتاجية تقرب لنا الحدث، بكل فظاظته، وتعسفه، وظلمه؛ وكأنه مصور تصويراً فوتوغرافياً أمامنا بكل مشهديته وحسيته المجسدة، كما في قوله: *اعترفْ الآنَ، عرقتُ وأحسستُ بأوجاعٍ في كل مكانٍ من جسدي، اعترف الآن، وأحسستُ بأوجاعٍ في الحائط، أوجاعٍ في الغاباتِ، وفي الأنهارِ، وفي الإنسانِ الأوَّل*.

وهنا، يكثف الشاعر الدلالات التي تؤكد مظاهر الوحشية والتعذيب والانتهاك، وهي لفظة الجلاد والتعذيب، بقوله: *في اليومِ التاسعِ كفُّوا عن تعذيبي، نزعُوا القيد، فجاءَ اللحمُ مع القيد*.

ومن مظاهر التعذيب الإحساس بالاستلاب والقهر وتذبذب المواقف، والحالة الشعورية المرتكسة بين اليأس والأمل والإقدام والإحجام والخوف والجسارة، إذ يقول:

***أنا يقتلني نصفُ الدفء**
ونصفُ الموقفِ أكثر
سيدتي نحنُ بغايا مثلكِ
يزني القهرُ بنا

والدينُ الكاذبُ
والخبزُ الكاذبُ
والفكرُ الكاذبُ والأشعار
ولونُ الدم يزوَّرُ
حتى في التأبين رمادياً
ويوافقُ كلَّ الشعبِ
أو الشعب*[35]

يعتمد الشاعر - في هذه القصيدة - إيقاع المكاشفة المدلولية عن جراح المعاناة وتذبذب الأحوال والرؤى والمواقف العربية. وهكذا تأتي المعاناة بالاستلاب والإحساس بالوجاعة غاية في الأسى، والحزن، والمأساة الحقيقية.

٢. المعاناة بالسجن والكبت.

لقد عانى مظفَّر النوَّاب من الوضع السياسي الذي عاشه بلده العراق؛ حيت تم سجنه بسبب مواقفه السياسية؛ فجاءت معظم قصائده شعله متقدة من الغضب والعنف، والتقريع الصاخب بالتجاوز والانحراف في المنحى الأسلوبي إلى بعض الكلمات النابية التي تخرج من نطاق العرف والعادة؛ محاولاً إكساب قصائده نبرة حادة تشي بالصراع النفسي القلق الذي يعيشه؛ وتعكس - بشكل أو بآخر - معاناته الوجودية في هذا العالم؛ كما يدل قوله يقول في إحدى قصائده:

***ومهما السجونُ تضمُّ الظلاما**
يظلُّ على شفةِ الكادحينَ الغناء
أقفِل فمك فالمباحث من حولنا كالبعوضِ*[36].

ومن مداليل الكبت والإحساس بمصادرة الآراء والحريات ترداد مفردة الصمت في السياق الواحد أكثر من مرة؛ حيث يقول:

***ما بالُ الصمتِ يخربشُ في الموقد**
والطباخةُ تخرجُ كالأرغنُ مشرَّعة بالموت
أسئلةٌ كالألوانِ الزيتيةِ في عينيها
لم تجهش بعد
وكم صعبٌ أن لا تجهشَ أمُّ شهيدٍ
وصلت في أزهارِ اللوزِ
في عالمكِ الصمتي الغامض أهمس أمي..
تسمعها أكثر من أيِّ هوائي يلتقط الشارات الكونية
تدري أنكَ في البيتِ لستَ تغادر إلا ليلةَ عيد
ويرين الصمتُ كثوبِ الأرضِ الرطب*[37].

إن من يدقق - في هذه القصيدة - يلحظ الواقع المأزوم الذي يقصد الشاعر تسليط الضوء عليه إذ إن الكبت والصمت يخيم على المواقف العربية؛ حتى الصمت خيم على أم الشهيد فلم تنطق؛ ولم تجهش؛ وكأن حالة الفجيعة وهول المصاب قد أعقد لسانها وأغار ينابيع دمعها، فلم تعد تذرف الدموع، وخيم الصمت الجنائزي الحزين على أرجاء المشهد فغدا المشهد صامتاً حزيناً.

٣. المعاناة بالغربة والحنين إلى الوطن.

إن الغربة ظلت ملازمة للشاعر إلى درجة الإحساس والتأزم المطلق؛ وقد ظل إيقاع الحنين والإحساس بالضياع سمة قصائده الاغترابية التي تضج بالشوق إلى الوطن؛ والحنين إلى العودة إليه بعد سنين الغربة والتشرد والضياع، إذ يقول:

***يا بِلادي**
يا حزينةَ البيوت
مدِّي يدَ الوشمِ
فقد عدتُ إليكِ بالمعاضدِ الخضراءِ من حياتي
يا حزينةَ البيوت
والآن..
والعالمُ برتقالةٌ تدورُ في بنفسجِ الأرواح
من قوةِ ذاكَ السائلِ الوحشيِّ فيَ أحشائِها
عدتُ إليكِ حاملاً شفرةَ هذا الكونِ وانتهتْ طفولتي
وصرتُ من طفولةِ الوجود*[38].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالحنين إلى الوطن بعد سنوات الغربة والتشرد والحزن والتيه والضلال؛ وقد فقد طفولته البريئة وعاد إليها بوجه جديد؛ وجه التفاؤل والإرادة والثورة والحث على التغيير، لينشر في بلده الخير والنور والصفاء والخضرة الدائمة؛ إذ يقول: *مدِّي يدَ الوشم، فقد عدتُ إليكِ بالمعاضدِ الخضراءِ من حياتي*.

واللافت أن الشعور الاغترابي ظل ملازماً للشاعر في العديد من قصائده الثورية التي تضج بالثورة والتمرد والاغتراب؛ مكرساً جل المداليل الشعرية للتعبير عن هول الجراح وعمق المعاناة بعيداً عن تراب الوطن، وأصعب ما يحس به المرء من اغتراب أنه لا يملك وطناً يأوي إليه ويلقي همومه وأحزانه على راحتيه؛ إذ يقول:

***سبحانكَ كلُّ الأشياءِ رضيتُ سوى الذل**
وأن يوضعَ قلبي في قفصٍ في بيتِ السلطان
وقنعتُ بكونِ نصيبي في الدنيا كنصيبِ الطير؛
ولكنْ - سبحانك - حتى الطيرَ لها أوطان
وتعودُ إليها
وأنا ما زلتُ أطيرُ
فهذا الوطن الممتدُّ من البحرِ إلى البحرِ سجونٌ متلاصقةٌ
سجَّانٌ يمسكُ سجَّانْ*[39].

إن جراح المكابدة والمعاناة تتقطر أسىً وحزناً في هذه القصيدة؛ إذ إن كل جملة تعبر عن المرارة والحزن وجراح الاغتراب؛ مفعِّلاً صدى هذه الجمل بالنبض الشعوري الارتكاسي الحزين؛ لتبدو كل جملة ذات إيحاء شعوري غاية في التكثيف والعمق الشعوري والاغتراب؛ كما في قوله: *سبحانكَ كلُّ الأشياءِ رضيتُ سوى الذل، وأن يُوضعَ قلبي في قفصٍ في بيتِ السلطان*.

ومن ذلك قوله:

***فكأنكَ غربة،**
وكأنَّكَ كنتَ رصيفاً في الغربة،
وكأنكَ لا أدري، غربةٌ غربة*40.

إن الشاعر - في هذه القصيدة - مسكون بالغربة وجراحاتها إلى درجة الانصهار بها؛ حتى كأن الشاعر نفسه غربة في حدِّ ذاتها؛ أي أن الاغتراب بدأ جزءاً متلاصقاً من كيان الشاعر حتى تملّكه من شتى الجوانب كلها؛ وتكنّى به كثوب أو قميص أحاط به من الجوانب كلها على الإطلاق.

وهكذا؛ يؤسس الشاعر دينامية قصائده على الاغتراب والحنين إلى الوطن؛ برؤى دقيقة تكثف المشهد الشعري، وتعمق صدى إيحاءاته الشعورية، لهذا، تبدو المكابدة والمعاناة حقيقية صاخبة في قصائده في جل المواقع والسياقات التي ترد فيها.

٤. المعاناة بالحزن والوجاعة الداخلية.

إن جراح الأسى والحزن ظلت علامة فارقة في قصائده؛ دلالة على المرحلة العصيبة التي مر بها الشاعر في اغترابه ونفيه وسجنه؛ ومن يطّلع - على قصائده - يلحظ هذه النبرة الاغترابية الحزينة، التي تدمي الفؤاد وتبين هول المكابدة وعمق المعاناة في ظل واقع مؤلم؛ لهذا، يحاول دائماً إظهار الوجاعة بالحط من الذات، والواقع الدنس الذي تعيشه هذه الذات؛ قائلاً:

***يا متهماً بالشعرِ العربيّ**
وأنا سافلْ
وعشاءُ الليلِ البارد
والماءُ وفجرُ اليومِ القادمِ سافلْ
ما يؤخذُ بالقوةِ لا يُسترجع إلا بالقوة*41.

إن لفظة سافل - في هذه القصيدة - جاءت بنظر الشاعر رداً اغترابياً على دناسة الواقع، ودناسة الذات التي تعيش في ظل هذا الواقع.

وثمة قصائد يتبدى فيها إيقاع الغربة والوجاعة الداخلية بوضوح، كما في قوله:

***بكلِّ أناقةٍ أرى وجهي**
وغربتي
وقروحي
وتصعد بين المظلات صوبَ الوجوهِ الحزينةِ روحي
وأعرفُ وجهاً يفرحُ قلبي به
وأكشفُ بين يديهِ التي تعرفُ اللطفَ كلَّ جروحي
وأرسيتُ بينَ القواربِ حزني
ما عادَ لي أنيسٌ سوى دفتري
والذي يعرفُ الحزنَ يعرفُ كيفَ تعذَّرَ وزني
حزينٌ أحاولُ أن أسألَ الحزنَ ماذا يسببُ حزني*42.

تتمفصل مداليل القصيدة على إيقاع الحزن والغربة والاحتراق النفسي الشعوري المأزوم؛ إذ إن كل جملة تتقطر أسىً وشعوراً وانكساراً نفسياً مؤلماً؛ غاية في الوجاعة والانكسار النفسي الارتكاسي الحزين، كما في قوله: حزينٌ أحاولُ أن أسألَ الحزنَ ماذا يسببُ حزني؛ واللافت هذا النفس

الشعوري الاغترابي الحزين الذي ينم على وجاعة داخلية؛ تصل حدَّ الاحتراق غربةً وأسًى؛ وهكذا، يؤسس الشاعر مظفَّر النوَّاب إيقاع قصائده على الثورة والانفعال والصخب الاغترابي حيناً، والوجاعة والانكسار والتمزق النفسي حيناً آخر، مما يجعل قصائده متوترة ذات صدى عاطفي مأزوم في كثير من الأحيان.

٥. المعاناة بتصوير الجرائم والقتل وإراقة الدماء.

يكثر الشاعر مظفَّر النوَّاب من السياقات التي تصور الجرائم والانتهاكات التي تطال الأبرياء؛ مكثفاً - من خلال تلكم المشاهد - جراحاته الداخلية وصدى نفسه المتأزمة؛ إزاء الواقع المرير الذي تعيشه البلاد العربية من ضعف وانقسام واحتلال؛ امتد من فلسطين إلى العراق؛ راصداً الأحداث الدموية في فلسطين رصداً دقيقاً؛ مصوراً الجرائم الوحشية بشتى فظاظتها وبشاعتها أمام المتلقي؛ كاشفاً من خلالها معاناته الداخلية، معاناة النفي والاغتراب والتشتت والضياع، إذ يقول:

***لا تقتربوا.. لا تقتربوا**
لحمُ الأطفالِ سيلعبُ
والغميضةُ شاملة
هذي اللعبةُ لا يقطعها أحدٌ أبداً
لا تقتربوا.. لا تقتربوا.. لا تقتربوا
ماذا ثمنُ الطفلِ الواحد؟
ماذا ثمنُ الغمَّازة؟
ماذا ثمنُ العينينِ الضاحكتينِ صباحاً..؟
ماذا ثمنُ الحملِ الطيّبِ في زاويةِ الخيمة..؟
ماذا ثمنُ الشفتينِ مناغاةً وحليباً..؟
كلا.. كلا.. كلا..
لا تقتربوا
لحمُ الأطفالِ سيلعبُ والغميضةُ شاملة
للقاتلِ شيءٌ آخر غيرُ القتل
كم القتلُ قليلٌ في هذا الموضع
جماهيرُ الصمتِ تغضُّ الأنظار.. هذا خجلٌ
لا تقتربوا أكثر من ذلكَ
فالمذبحةُ الآن مشوهةٌ
جثث الأطفالِ بلا فرح
وأميزُ رائحةَ الرضع
والخرزُ الأخضرُ يورقُ في اللحمِ المحروق
لن أبكي - إطلاقاً -
بصمت سيروا...
كونوا ليلاً وتراتيلاً دامية*[43].

هنا، يصور الشاعر الواقع الدموي المؤلم الذي أكثر ما نجده على أرض فلسطين من تمزيق وتمثيل سافر بالجثث والأشلاء المبعثرة هنا وهناك؛ محاولاً بث هذا الواقع بأسلوب تعروي فاضح؛ غاية

في المكاشفة والتعرية والنقد اللاذع؛ وهنا قام الشاعر بتصوير هذا الواقع بدموية شديدة؛ دلالة على عمق المأساة وفداحة المشهد الشعوري الدموي المجسّد، كما في قوله: *فالمذبحةُ الآن مشوهةٌ، جثثُ الأطفالِ بلا فرح، وأميزُ رائحةَ الرضع، والخرزُ الأخضرُ يورقُ في اللحمِ المحروق، لن أبكي إطلاقا*؛ وهكذا؛ عبر الشاعر في قصائده عن معاناته إزاء الأحداث الدامية المروعة التي تجرح الفؤاد وتدمي القلب؛ خصوصاً عندما تطال الأطفال الأبرياء العزل في فلسطين؛ ومن هنا، يتأكد لنا أن نصوص الشاعر مظفَّر النوَّاب تضج بأنواع المعاناة والمكابدة والجراح؛ لهذا تصطهج بالنفس الشعوري الانفعالي الحاد والألفاظ النابية؛ دلالة على عمق المأساة ومرارة الجراح؛ ولا عجب في ذلك فهو القائل:

***من أقصى الحزنِ أتيتْ**
لأغلقَ أبوابَ بيوتِ المهزومين
وأبشِّر بالإنسان
وبالإنسان
وبالشيَّاح
وبمن لا يملكُ سقفاً، سيكونُ لهُ سقفٌ، في هذي الدنيا وينام
أنا لا أملكُ بيتاً أنزع فيه تعبي
لكني كالبرقِ أبشّرُ بالأرض
وأبشرُ أنَّ الأمطارَ ستأتي وستغسلُ من لوحتِنا كلَّ وجوه المهزومين
وستغسلُ بالمطرِ الدافئ
جنحَ النورسِ
وبيوتَ أحبتنا
والحرفَ الأولَ في لغتي
يا زهرةَ بيتي
يا وطني
أمطرني حزنُ بلادي
أمطرُ فوقَ الماء...
الماءُ طريقٌ للغرباء
الماءُ طريقةُ عرسي
والزهرةُ... والرشاشُ
وخبزُ الصمغ
عشاءُ النجمةِ في الليلِ وعشائي*44.

إن جراح المعاناة والحزن تغلف قصائد الشاعر مظفَّر النوَّاب؛ إلى درجة الإشباع والتآسي العميق؛ إذ إن كل جملة من قصائده تعتصر أصداء المعاناة ومرارة الجراح؛ والتشرد والغربة والضياع، كما في قوله: *أنا لا أملك بيتاً أنزع فيه تعبي*؛ إن هذه الرؤية الاغترابية تأكدت أكثر بقوله: *الماءُ طريقٌ للغرباء، الماءُ طريقةُ عرسي، والزهرةُ... والرشاش، وخبزُ الصمغ، عشاءُ النجمةِ في الليلِ وعشائي*؛ وهكذا؛ تتأسس مداليل قصائد الشاعر مظفَّر النوَّاب على جذر المعاناة والوجاعة

الداخلية، والإحساس بالحزن والثورة والتمرد على الواقع؛ ارتداداً نفسياً لما يعانيه من ضغوطات نفسية تملكت فؤاده في الكثير من الأحيان، لتخرج القصيدة عن نطاقها اللغوي الضيق إلى نطاق الشذوذ في التعبير والإباحية في التقريع إلى درجة الاستهجان في بعض الأحيان.

- نتائج واستدلالات:

١. إن ما يميز قصائد مظفَّر النوَّاب الفصحى إيقاعها الانفعالي العاطفي الصاخب؛ ونفسها الشعوري المصطهج بالتمرد والثورة والغربة والوجاعة الداخلية؛ في حين جاءت قصائده بالعامية ذات نفس شعوري غزلي عاطفي جمالي أكثر انسيابية ودفئاً روحياً شفيفاً؛ من القصائد الفصيحة.

٢. تمتاز قصائد مظفر النواب الفصحى بإيقاعها الاغترابي، الذي يضج بالمعاناة والقلق والانكسار الشعوري الحزين؛ لهذا يغلب عليها مسحة من الحزن والغضب إلى درجة خروج الشاعر عن طوره بمفردات تعروية نابية.

٣. إن ثمة نزوعاً تأملياً صوب القضايا القومية، لهذا؛ يغلب على قصائده العنف الثوري والضجة الانفعالية والصخب النفسي؛ في جل جمله؛ وكأن مظفَّر النوَّاب يحارب بالكلمة؛ لتأتي بوقعها النفسي الحاد فاعلة في إصابة الهدف بشكل خطابي مباشر، دون حاجة إلى تأويل أو اعتصار فكري في تأمل مداليلها؛ نظراً إلى وضوحها التام؛ وإصابتها الهدف المنشود مباشرة دون كبير عناء.

34 النواب، مظفر، ١٩٩٦ - الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن، ط١، ص ٥٠٠-٥٠٢.
35 المصدر نفسه، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.
36 المصدر نفسه، ص ٢٧٦- ٢٧٧.
37 المصدر نفسه، ص ٣٠٠ - ٣٠١.
38 المصدر نفسه، ص ٣٥٩.
39 المصدر نفسه، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.
40 المصدر نفسه، ص ٣١٥.
41 المصدر نفسه، ص، ٣٣٩ - ٣٤٠.
42 المصدر نفسه، ص ٤٢٤.
43 المصدر نفسه، ص ١٧١ - ١٧٧.
44 المصدر نفسه، ص ٣١١ - ٣١٤.

الفصل الرابع

الزخم الثوري في قصيدة قراءة في دفتر المطر لمظفَّر النوَّاب

إن النصوص الملتزمة - في لغة الحداثة الشعرية - هي نصوص قليلة اليوم، حيث ما عاد الإنسان يفكر إلا بمعاناته الوجودية وعالمه الاصطراعي الداخلي العميق؛ بمعنى أن جلّ التجارب الشعرية الحداثية هي تجارب ذاتية، أو تجارب سير ذاتية تحكي معاناة الذات، وقلق الذات، وزخم الواقع المحيط بالذات؛ أما أن تتحدث القصائد عن عالم آخر ينفصل عن الذات، أو عن عالم آخر يمتد إلى القضية الوجودية أو القضية القومية والصراعات السياسية التي تمر بالأمة العربية؛ فهي على كثرتها قليلة لا تشكل منعطفاً مهماً في تطورها؛ نظراً إلى تكلف الرؤية، أو تكلف الشعور والحماس القومي والسياسي الثوري إلا عند شعراء نادرين جداً في وطننا العربي الكبير؛ بمعنى أن أغلب التجارب الشعرية الكثيرة المعاصرة التي تحكي الواقع القومي لأمتنا العربية اليوم هي تجارب مصطنعة تميل إلى هذا النهج الكتابي، فقط للتنويع في الأسلوب الشعري؛ أما أن تكتب عن إحساس قومي ثوري حقيقي، فهذا قليل جداً؛ بل يكاد يكون نادراً رغم كثرة المتزحلقين من الشعراء الذين يتناولون هذا الجانب في الوطن العربي؛ وتعد تجربة الشاعر مظفَّر النوَّاب هي التجربة الحقيقية الشائعة التي تناولت هذا الجانب الثوري بكل مهارة تصويرية، وعمق رؤيوي بالقضايا المأساوية التي تعيشها الأمة العربية، وقد أثَّر أسلوب الشاعر مظفَّر النوَّاب في شعراء الأرض المحتلة بنهجه التعروي الفاضح؛ لإيقاظ الهمم وتحفيز المشاعر القومية صوب قضايانا المصيرية؛ وتعد قصيدة قراءة في دفتر المطر من القصائد القومية المهمة التي تناول فيها الشاعر الواقع العربي بروح ثورية متمردة، تعكس مداليل الشعور المأزوم إزاء الواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة العربية من ظلم واحتلال، يقول الشاعر مظفَّر النوَّاب:

***في الليلِ، يضيعُ النورسُ في الليل.. القاربُ في الليل**
وعيونُ حذائي تشمُّ خطى امرأةٍ في الليلِ
امرأة ليست أثر من زورقٍ لعبورِ النهر
يا امرأةَ الليلِ، أنا رجلٌ حاربتُ بجيشٍ مهزوم
ما كنتُ أحبُّ الليلَ بدونِ نجوم
وأخيراً صافحَ قادتُنا الأعداءَ ونحنُ نحارب
ورأيناهم ناموا في الجيشِ الآخر
والجيشُ يحارب
والآن سأبحثُ عن مبغى
أستأجرُ زورقْ
فالليلُ مع الجيشِ المكسورِ طويل
في مقهى الزيتونةِ تبكي الموجةُ فيه
أهلي فيه
ورجالٌ فيه يصيدونَ أصابعَ أطفالٍ غرباءْ
ما زلنا بشراً ضعفاءْ
نبحثُ عن شوق

يتعبنا كالشوق
ونحبُّ ونكره حدَّ الشوق
ورأيناهم ناموا في الجيشِ الآخر
والجيشُ يحارب
وبحثنا عنهم كالمبغى
يا شباكَ الزيتونة أبحثُ عن مبغى
أبحث عن طينْ
يا زهرةَ بيتي يا وطني
أأظلُّ هنا حزناً مُبعَدْ
أأظلُّ على خرسي
تابوتَ قصاصاتٍ مُجهَدْ!*45.

تتأسس مداليل هذه القصيدة على الثورة والتمرد والإحساس بالمرارة، من معاناة النفي والاغتراب؛ إذ تعري الواقع السياسي المتخاذل المتآمر على القضية العربية إلى درجة الخيانة والإذعان للعدو. واللافت تركيز الشاعر على الجمل المقتصدة بإيحائها التعروي الفاعل على الكشف والتعرية بأسلوب جارح؛ ونبرات حادة، إذ يقول:

***لا أعرفُ حتى خشبي**
لا أعرفُ أين سيتركُني الجزرُ
وليلُ الماءِ على جرحي
لا أعرفُ كيفَ يمرُّ الإنسانُ بدربِ الدمعِ
لا أعرفُ أيأسُ
الخضرةُ دبتْ في خشبي والمنفى
وسمعت شموعاً تتلقحُ في قلبي
وصراخاً أهملَ أعواماً
لا يغضبُ لا يبكي
وتواطأتُ مع الأيامِ
نسيتُ.. نسيتُ.. نسيتُ
وفاجأني.. أنتَ وفي هذا الليل
أنا لا أعرفُ وجهك
لا أعرفُ منْ أنتْ
أعواماً بعدكَ
ما كان لبيتي باب
أعواماً ألهثُ ألقاك وراءَ النومِ
وأنتَ سراب*46.

يتأسس الشعور العاطفي على الاصطهاج النفسي والقلق في ظل الواقع الارتكاسي المؤلم؛ بصور فيها الكثير من الوجاعة الداخلية والاغتراب النفسي؛ وكأن كلّ جملة تحكي جراحاته، ومعاناته واغترابه ونفيه، وقلقه، وتأزمه النفسي.

إن هذا الشعور العاطفي المأزوم ظل ملازماً للنواب في قصائده؛ دلالة على الاغتراب والانكسار النفسي، إذ يقول:

***فأنا أحببتُكِ في زهرةِ بيتي**
في وطني
وسمعتُ شموعاً تتوهَّج في قلبي
ولماذا بعتُم لغةَ البيت
وفيها الشيَّاح
وأهلي
وأخي في مطرِ الليل
ولماذا استأجرْتم لغةً أخرى
وأبحتُم وجهَ مدينتِنا لليل
وتركتُم في الهجرِ حروفي كأصابع أيتامٍ في الشباكِ
كزوايا فمِ طفلٍ يبكي*[47].

إن الطابع الانفعالي الثوري يتبدى في اتقاد الجمل، وتنامي إيحائها اللغوي الصاخب بالحزن والمرارة والجراح؛ وكأن الجملة تخرج من باطنه المأزوم، معبرة بعمق عن صدى ذاته اليائسة الحزينة التي تتلمس الخلاص في واقع ينبئ بالقتامة والحداد والضعف والانكسار.

وهنا، يحاول الشاعر جاهداً السعي إلى الخلاص من هذا الواقع السوداوي المؤلم بروح متفائلة تبشر بالخلاص والحرية، إذ يقول:

***من أقصى الحزنِ أتيتُ**
لأغلقَ أبوابَ بيوتِ المهزومين
وأبشّرَ بالإنسان
وبالإنسان
وبالشيَّاح
وبمنْ لا يملكُ سقفاً
سيكونُ له سقفٌ في هذي الدنيا وينام
لكنْ
واخجلي كم بيننا مهزومٌ
وسيخجل من باعوا لغتي
فأنا مكتوبٌ في الأرزِ
وفي العسلِ الأخضر
في التينِ
وأنا أطعم بالسكرِ نخلاتِ الكوفة
والأطفالُ على رابعِ جسرٍ في *العشار*
أنا لا أملكُ بيتاً أنزعُ فيهِ تعبي
لكني كالبرقِ أبشّرُ بالأرض
وأبشّرُ أن الأمطارَ ستأتي

وستغسلُ من لوحتِنا كلَّ وجوهِ المهزومين
وستغسلُ بالمطرِ الدافئِ جنحَ النورسِ وبيوتَ أحبتنا
والحرفَ الأولَ في لغتي*48.

إن هذا الزخم الشعوري الذي تموج فيه نفس الشاعر؛ ينم على روح ثائرة متمردة تتلمس الخلاص بإحساس متقد، يسعى إلى إيقاظ الهمم والبشائر بالخلاص والنصر والخير القادم؛ إذن، إن الخير قادم من منظور النوَّاب؛ لا بد من فجر جديد وإشراقة جديدة بعد ركام الليل، وجهانة الظلمة والحداد والقتامة، والجراح والآلام؛ لهذا يطلب من المطر أن يبقى مجدداً فينا ينابيع البشائر والأمل؛ إذ يقول:

***يا وطني أمطرني حزنُ بلادي**
أمطِرْ فوقَ الماء
ماذا غير الزرقة تنمو فوق الماء
وخضارُ أصابعِ أطفالٍ غرقى
تنمو في الطحلبِ أياما.... وتموت
الماءُ طريقٌ للغرباء
الماء طريقُ عرسي
والزهرةُ
والرشاشُ وخبزُ الصمغ
عشاءُ النجمةِ في الليل
وعشائي
الماءُ طريقٌ للماء
وبويتٌ لا ندرسُ فيه
ونُنشّفُ خديهِ إذا ابتلا
ونرافقُ فانوسَ النومِ من أيامِ زهرةِ بيتي
فارقتُ نعاسي
وتواطأتُ مع الأنهار
وكلّ جسورِ الناسِ إليك
ونسيتُ.. نسيتُ بأنكَ ماءٌ في وطني
اسمكَ في الليل
يسيلُ الصمغُ عن التفاح
نهرٌ ينتابُ الحر
ليالي الصيف
ويواعدُ كلَّ الأمطار
ويواعدُني الصحو
واعدَني
وكذبتُ بقلبي
كذبتُ كنشرةِ أخبار

يكذبُ... يكذبُ... صحوُك يكذبُ باستمرار*49.

يؤسس الشاعر المقطع على المعاناة والجراح؛ وكأن كل الأشياء أمام الشاعر ترسم مآسٍ وأحزاناً؛ إذ تبدو كل صورة مصحوبة بزخم نفسي انكساري عارم، دلالة على الواقع المأزوم، الذي تعيشه الأمة العربية؛ فلم يعد أمام الشاعر إلا متابعة الأخبار وتلمّس الخلاص القريب، لكن دون جدوى؛ إذ إن كل الأشياء تكذب على الشاعر حتى بشائر الخلاص اضمحلت، وبدت أشباحاً على ضفة الوقت والوعود الكاذبة.

واللافت أن دلالة الاغتراب والإحساس بالغربة قد سيطرت على رؤى الشاعر مظفَّر النوَّاب سيطرة شبه تامة في قصائده على امتداد حيزها التاريخي، في المرحلة الزمنية التي عاشها مغترباً بعيداً عن تراب الوطن؛ إذ يقول:

***فكأنك غربةْ**
وكأنك كنتَ رصيفاً في الغربة
وكأنك مألوفٌ في الغربة
وكأنك.. لا أدري
غربةٌ.. غربة
اسمكَ لي بيتٌ في الليل
ونسيتُ لسرعة قلبي كلَّ نوافذه مشرعةً في الليل
نسيتُ.. نسيتُ
أيقظني ريحُ الشباكِ على وطني*50.

إن جراح الاغتراب والمعاناة الداخلية قد أصبحت سمة ملازمة لقصائده؛ وهي أكثر مداليل قصائده حيازة على فضائها النصي؛ إذ إن الشعور بالغربة وجراح الغربة، وضياع الغربة قد ولد في قصائده شجناً عميقاً؛ يبث صداه في كل ثنايا قصائده.

ولعل ما يلفت إليه القارئ هذا الطابع السوداوي الحزين؛ من خلال نظرته المؤلمة إلى الوطن؛ فهو كما يعاني الغربة وجراحها يحس أن وطنه أيضاً يعاني مثله كذلك جراح الغربة، ومرارة الاغتراب ، فكلاهما، الشاعر والوطن في غربة وجراح ووجاعة وأنين وضياع، إذ يقول:

***يا وطني، وكأنَّكَ غربة**
وكأنكَ تبحثُ في قلبي عن وطنٍ أنتَ ليؤويك
نحن الاثنان بلا وطنٍ يا وطني
كالبارحةِ اشتقتُ
ومرَّتْ في قلبي طرقاتُ مدينتنا تبكي
الدمعُ على أرصفتي يبكي
ومدينةُ أيَّامي، باعوها، في الساحةِ تبكي
يا امرأةَ الليلِ
أنا رجلٌ باعوا لليلِ مدينةَ أيامي
باعوني ككتابٍ يطبعُ ثانية*51.

إن الشاعر يرى في الوطن جراحه ومعاناته؛ ويرى فيه معاناة النفي والجراح والاغتراب؛ وكأنه يعاني غربة نفسية مؤلمة كما يعاني الشاعر؛ ولهذا، بث الشاعر مشاعره الاغترابية الحزينة في جراح الوطن وانكساره وتخاذل أبنائه؛ وهنا، أصبحت شوارع الوطن تئن تحت وطأة جراح الحزن والكآبة والاغتراب.

إن جراح الغربة والنفي جعلته ينظر إلى ما حوله نظرة حزينة، مردها خيانة الآخرين لقضاياه وقضايا أمته ووطنه، الذي بات عرضة للغربة والضياع والانتهاك كذلك؛ إذ يقول:

***باعوا أحلامي..**
نامي يا امرأةَ الليل
فمنْ يبحثُ عن إنسان
من يعرفُ جنديّاً في هذي الغربة
من ينصتُ للحزنِ المتأخر
من يعرفُ وجهي في السوق
نامي يوشكُ زيتُك يطفئني
ما زيتكِ من زيتٍ
يا قمحاً يأتي يغمرُ بالشمسِ شبابيكَ البيتِ
لو كنتُ عرفتُ بأنا نملكُ بيتاً خلفَ ظلامِ الدنيا
وصغاراً مثلكِ في البيت
لو كنتُ عرفتُ سلاحاً لماذا نتعاطى
لو كنتُ عرفتُ لماذا نتعاطى الصمت
وحزنَ الإصرار
لو كنتُ عرفتُ معسكرنا وقبور الماء
وصوتَ الليل
ورأيتُ وجوهَ رفاقي التسعةَ قبل النار
لو كنتُ عرفتُ لماذا يسكنُ جوعٌ في الأهوار
جوعٌ وثلاثةُ أنهار
لو كنتُ عرفتُ الخجلَ المرَّ على جبهةِ ثوريٍّ ينهار
لعرفتُ الثورة
لعرفتُ لماذا الثورة
لعرفتُ أن الثائرَ لا ييأسُ من دفعِ الصفرِ بوجهِ الليل
لعرفتُ، لماذا أبحثُ عن مبغى
لعرفتُ لماذا أبحثُ في وجهِ الناسِ عن الإنسانْ
في وجهكِ أبحثُ عن إنسانْ... عن إنسانٍ عن إنسان*[52].

تتمفصل مداليل هذه القصيدة على الإحساس بالقلق والحزن والضياع؛ فمدينة أحلامه قد بيعت وسبيت أمانيه، وأنين الصمت قد عشعش في داخله؛ ولم يعد الصراخ يخرج مدوياً مثلما كان من قبل؛ لهذا؛ يتمنى الشاعر أن توقد نيران الثورة من جديد؛ لأننا بحاجة إليها؛ للتخلص من جراح

الإنسان ومتاهة الغربة والنفي والضياع؛ وعلى هذا؛ كرّس الشاعر مداليل قصائده كلها للبحث عن الإنسان؛ هذا الإنسان المناضل الوفي لأحلام أمته وقضاياها المصيرية.

وعلى هذا ينظر الشاعر مظفَّر النوَّاب إلى الوطن نظرة اغترابية اصطراعية، قلقة تعكس حساً مأساوياً بالواقع المتردي الذي تعيشه الأمة العربية؛ إذ يقول:

***أبحثُ في طرقاتِ مدينتِكم عن وجهٍ يعرفُ حزني**
يعرف ماذا في وطني
أندبُ كالبومِ المجروحِ، على جدرانِ الليل
والبارحةُ اشتقتُ، ومرتْ في قلبي كلُّ خرائبِها تبكي
يا مدنَ النارِ
مدينتُنا تبكي
المنقذ يأتي كشموعٍ تحت الماء
سنتانِ تعلم حزناً تحتَ الماء
سنتان نمتْ أسماءُ القتلى، اتخذت أسماء
ونما النسيان
ونما للمنقذِ دربٌ وصليبٌ من أشتاتٍ خضراءْ*53.

تتأسس الحركة الدلالية - في هذا المقطع – على جراح المعاناة والأسى والاغتراب، إذ إن الشاعر يبحث عن مدينة تعرف جراح حزنه، تعرف أحلامه، وجراحاته ومآسيه، ودموع غربته، تأسى لحاله؛ وتئن على فراقه؛ لكن للأسف حتى مدينته أصبحت سبية، تبكي جراحها ومعاناتها، وخرابها ومواجعها، وأنقاض الظلمة على عروشها؛ فلم يعد لها من منقذ سوى بقايا من أشتات آمال خضراء، تحلم أن ترجع إلى عهدها وذروتها في الماضي العريق؛ إذ يقول:

***حزينٌ قلبي للمنقذ**
مثل كتاباتِ الأحزان
مثل كتاباتِ الريحِ
مثلَ رثاء النصرِ إذا ساوحَ قلبَ القائد
وكما يُقرأُ في المبغى، قرآن
وحزينٌ قلبي
كحديثِ العمرِ الذاهبِ للمنقذ
وحزينٌ في طرقاتِ مدينتِكم
حقرتم حزني
المبغي في ليلِ مدينتكم
أكثرُ تسليةً من حزني
القبرُ بليلِ مدينتِكم، أكثرُ أفراحاً مني
وأنا من أقصى الحزنِ أتيتْ
أبشّرُ بالإنسانْ
وبالمنقذِ
وأخافُ على أيامِ مدينتِكم منكم

من لغةٍ أخرى
في الطرقاتِ المشبوهةِ بالإنسان، وزهرِ الصبر
اتسختْ روحي يا منقذ
واتسختْ روحي
وتعذَّبَ حتى وسخي
عانيتُ لأنك تعرفني في الغربة
عانيتُ، لأنكَ في ثقةٍ متعبةٍ، كالشك
وتعاملتُ مع الغربةِ
عانيتُ.. وعانيتُ*54.

تتأسس مداليل هذا المقطع على مؤولة الحزن التي تشكل مرتكزاً لحركة نصوصه الدلالية؛ بمعنى أن مؤولة الحزن تعكس تأزماً نفسياً لحركة نصوصه الدلالية، التي تتأسس على الإحساس بالوجاعة والحزن والكآبة، من جراء تهرؤات الواقع ومأساة الغربة وجراحاتها المستمرة.

وعلى هذا النحو؛ يبدو إصرار الشاعر على ترسيم البعد النفسي لاغترابه وجراحاته وأحزانه، برؤى ثورية انفعالية ترصد مرارة الواقع من ظلم وقمع واستغلال؛ وغربة ونفي؛ وما أصعب النفي إذا كان داخلياً، وما أشد الاغتراب عندما يكون داخل الوطن؛ إن الشاعر يعاني اغترابين: اغتراب داخلي: مرده الاغتراب والانسلاخ عن الواقع المأزوم الذي يغص بأنواع الفساد والانحلال والضعف والتخاذل العربي، واغتراب خارجي مرده الاغتراب عن الوطن بالقلق والوحشة والحزن والضياع؛ وكلا الاغترابين عاناهما مظفَّر النوَّاب في قصائده، ورصد هذه المعاناة شعراً ثورياً صارخاً؛ يعكس صدى داخلياً جارحاً في جلّ قصائده؛ إذ يقول:

***بالأمسِ، ذهبت**
على وجهكَ بؤسُ صغارِ الأسماك
وسألتُ... سألتُ
وعنكَ سألتُ الصيادين
سألتُ لماذا لا تدري؟
وحملتُ صليبكَ لا تتركني في النسيانْ
لا تتركني
فالشكُّ سيقتلُ في الإنسان
لا تتركني أفلستُ المنقذ
أفلستُ رفيقَ المتسخين
ولأجلِ صليبكَ في حفرِ الليلِ
أنامُ مفتحةً عينايَ مع الأسماك
ولأجلِ صليبكَ نمتُ مع المبغى
ووجدتُ صليبكَ يبكي ندما في الشبَّاك
لا تتركني
فأنا وحدي
والناسُ هنا في غربةْ*55.

يركز الشاعر الدلالات صوب الإحساس بالبؤس والغربة والضياع؛ إذ يرى أن الأشياء من حوله تؤذن بالاتساخ والدناسة والوجاعة الداخلية؛ فهو ينتظر المنقذ ولا منقذ على الإطلاق يسهر الليالي؛ متلمساً فجر الخلاص، ولا خلاص على المدى القريب، إن الشاعر يغوص في المرارة والوحدة والحزن والاغتراب، ويرى الناس من حوله أغراباً، وكأنهم مثله يتيهون في ظلام الغربة والضياع والوحشة والقتامة؛ إن هذه الرؤى دفعت الشاعر إلى نبرة السخط والغضب في قصائده؛ حتى بدت ألفاظه صارخة جارحة، نابية تشي بالمرارة وعمق الوجاعة والجراح؛ وعلى هذا النحو، جاءت قصيدته *قراءة في دفتر المطر*، لتعكس حالة الشاعر الاغترابية، برؤى عميقة تتبطن جوهر المعاناة والإحساس بالقهر والظلم والاستلاب؛ وكأن كل جملة من جمل هذه القصيدة تعكس مرارة لاذعة ووجاعة داخلية عميقة؛ مردها النزوع إلى الانسلاخ عن هذا الواقع، بانتظار المنقذ الذي يأتي على وجه السرعة محطماً القيود، معلناً نور الفجر والخلاص من دناسة الظلم والاستغلال؛ لكن هذا المنقذ لم يأتِ في ختام القصيدة وبدا شبحاً اسمه جراح الغربة ومرارة الاغتراب؛ ولم يبق من الوطن سوى ذلك الشبح الذي فقد معظم جماله ونضارته ومظاهر صفائه المطلق؛ ومن هنا جاءت القصيدة حزينة في إيقاعها الدلالي؛ معبرة بعمق عن مرارة الجراح وشدة المعاناة التي يعيشها مظفَّر النوَّاب بعيداً عن أرض الوطن؛ ولهذا، حازت هذه القصيدة على جمل مقتصدة مكثفة دلالياً، كما لو أن الشاعر صاغها بأنفاس ثورية متألمة إلى درجة الإعياء والمرارة والحزن؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عمق شعور ورهافة شعورية وإحساس عميق بقضايا أمتنا المصيرية؛ مؤكداً التزامه بقضاياها حتى النهاية، وعلى هذا النحو أتت القصيدة مشحونة بالتوتر والقلق والوجاعة الداخلية، كما لو أن الشاعر مظفَّر النوَّاب وظّف كل ما لديه من طاقة انفعالية مختزنة، وفجرها في هذه القصيدة دفعة واحدة لتشي بعمق عن مرارة الأسى والاغتراب التي عاناها بعيداً عن أرض الوطن.

- نتائج واستدلالات:

١. إن قصائد مظفَّر النوَّاب عامة، وقصيدته قراءة في دفتر المطر خاصة، تعكس ثورة نفسية عارمة مردها التوق إلى التعرية، تعرية الواقع بعين ناقدة حساسة من جهة، وبرؤى توصيفية دقيقة ترصد مظاهر التخاذل والتآمر العربي من جهة ثانية؛ وهي تعكس حالة من الوجاعة الداخلية وعمق الجراح، ومرارة الغربة وجراح الاغتراب.

٢. إن قصيدته قراءة في دفتر المطر هي قصيدة يائسة في بعدها النفسي، تعكس حالة من القيدية والانغلاق والحزن المطبق؛ وكأنها قيود تزيد من شدة مرارة الشاعر وحزنه ويأسه؛ لهذا، غلب عليها إيقاع الحزن والدموع والمرارة والحسرة والندامة، والأسى على ما حاق ببلده من ويلات وآلام.

٣. إن كل جملة من جمل هذه القصيدة تمثل صرخة مؤلمة، وصيحة غاضبة تشي بانكسار نفسي مؤلم، وقلق ووجاعة داخلية حتى الصميم؛ لهذا، غلبت على مفرداتها النبرة الانفعالية الحادة، والألفاظ القوية ذات الجرس الموسيقي الصاخب، والرنين اللفظي داخل السياق الشعري.

٤. إن من يتأمل في صور هذه القصيدة يلحظ وضوحها ودقة مقصودها على المعنى المراد؛ فلا يحس القارئ في صوره تنافراً وشذوذاً عن المألوف؛ بل كلها جاءت فاعلة منصبة في بوتقة الرؤيا النصية العامة والمغزى الدلالي العام.

---

45 النواب، مظفر، ١٩٩٦– الأعمال الشعرية الكاملة، دار قنبر، لندن، ط١، ص ٣٠٨- ٣٠٩.
46 المصدر نفسه، ص ٣٠٩ - ٣١١.
47 المصدر نفسه، ص ٣١١.
48 المصدر نفسه، ص ٣١١ - ٣١٣.
49 المصدر نفسه، ص ٣١٣ - ٣١٥.
50 المصدر نفسه، ص ٣١٥ - ٣١٦.
51 المصدر نفسه، ص ٣١٦ - ٣١٧.
52 المصدر نفسه، ص ٣١٧ - ٣١٨.
53 المصدر نفسه، ص ٣١٨ - ٣١٩.
54 المصدر نفسه، ص ٣٢٠ - ٣٢١.
55 المصدر نفسه، ص ٣٢١ - ٣٢٢.